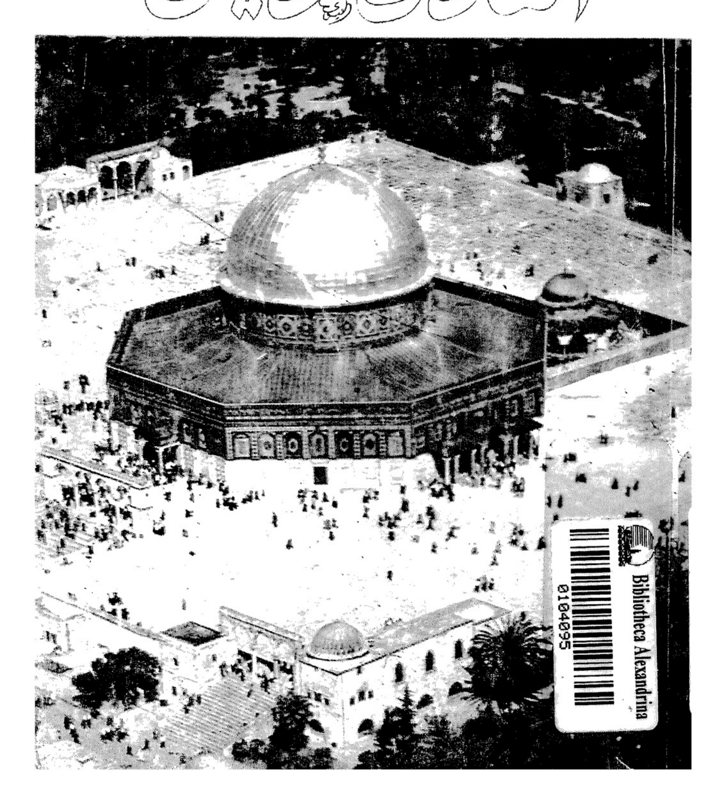
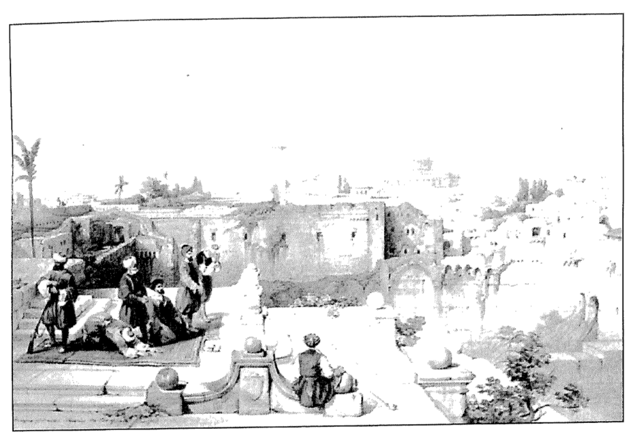
سهاد حسين فتليبو:

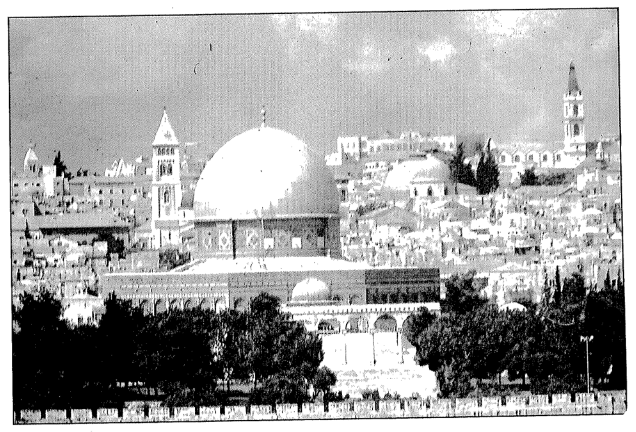
القدس مدينتي





القدس .. ليتوغراف للفنان ديفيد روبرتس (١٨٣٩)

القدس اليوم تتوسطها قبة الصخرة




القدس مدينتي



بسم الله الرحمن الرحيم

«اللهم أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق،
واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا »

«قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا»

صدق الله العظيم

القدس مدينتى

بقــلم

سهاد حسين قليبو

دار الهلال

الغلاف :
اهداء من الفنان حلمى التونى

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٩/٧٨٧٠
I . S . B . N
977 - 07 - 0656 - 6

إهــداء

إلى والدى الحبيب السلف الصالح حسين على قليبو القدس الماضى .

وإلى والدتى الصامدة المرابطة بين جدران الوحدة الحبيبة الغالية وجبهة بعقوب نسيبة قليبو ..

وإلى صديقى وأب أولادى غسان أحمد اشنيوى الذى وقف ورائى فى كل مكان وزمان مساندا إياى فى كل خطاى القدس الحاضر الصامد الخير المعطاء ..

وإلى أولادى مالى وإيهاب اشتيوى وابنتى جامعة القدس الفتية القدس المستقبل الغد المشرق بنور العلم والحق والسلام ..

وإلى صديقى وأستاذى الكاتب الكبير محمد عودة أنحنى إجلالا وتقديراً ، الذى منحنى الثقة بالكتابة ولولاه ما رأى هذا الكتاب النور ..

وإلى أخى الصحفى أنور الهوارى الذى كان أول القارئين والمشجعين ..

وإلى كل إنسان مر فى حياتى زائرا وإلى كل إنسان زارنى قارئا إليكم جميعا الحب من أرض الحب .

وإلى لقاء فى قدسنا الحبيب ..

عشرون عاما من الضياع

في مدرسة شميدت – مدرسة ألمانية كاثوليكية – في قاعة الامتحانات الساعة الثامنة والنصف صباحا يوم الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ تدخل الراهبة الأخت كونستنسيا مع الأم الراهبة انجلينا وسكرتيرة الدير والمعلمة الفاضلة انجلينا دغمس ، الوجوم يرتسم على وجوههم ينبيء بحدوث شيء عظيم والخوف يطل من عيونهم يحطم السكون وأمن المكان .

وبحكم المسئولية استجمعت الأم انجلينا قواها لتعلن لنا بصوت مرتجف باللغة الانجليزية عن بداية نشوب حرب ٥ يونيو ، وتطلب منا التوقف عن الاسترسال في كتابة الامتحان ومغادرة المكان والتوجه بهدوء إلى بيوتنا في الباصات الخاصة بالمدرسة التي ستقلنا إلى أحضان الأهل لنحس بالأمان .

فوجئت الأم انجلينا بالفرح الذي ارتسم على وجوهنا وعدم الشعور بالخوف أو الرهبة ، من شدة الفرح أخذنا نرقص مصفقين مهللين نتغنى بأناشيد العودة وأناشيد النصر الآتية إلينا من حضن الوطن العربي ، ألا وهي مصر أم الأوطان وأم الوطنيين والمسئولة الأولى في قضايانا العربية .

وبصوت واحد جبار أخذنا نهز المكان بصوت كله إيمان بعودة فلسطين إلى حظيرة الأمة العربية ، وتغنينا بأغنية من أعذب الألحان لعمالقة الفن من أبناء مصر الأبرار

وطني حبيبي وطني الأكبر

يوم ورا يوم أمجاده بتكبر

وانتصاراته ماليه حياته

وتنى بيتبسر ويبتسر

وطـــنــى يــا وطـــنــى

وطنى يا أغلى وطن فى الدينا

وطنى يا قلعة للحرية

أنت الباني مع البانيين

وأنت الهادم للعبودية

الصوت صوتك حر وعربى

لا صدى شرقى ولا صدى غربى

ياللى ترابك كحل لعينى

ياللى هواك عطره بيحيينى

انت حبيبى يا وطنى العربى

ذعرت الراهبات من عظيم فرحتنا ، وأحسسن أننا لا نقدر معنى الحرب ، وأنها ، بالطبع ، أولى تجاربنا فى عمرنا الصغير الصغير .

اندفعنا نتسابق للخروج إلى ساحة المدرسة ، نلبس البلوزة والمريول الكحلى وكأننا فى طريقنا إلى معركة الوجود : من معركة العلم إلى معركة الجهاد نودع المعلمات والراهبات والصديقات على أمل اللقاء فى قدسنا العربية ، التى ندعى اليوم بالقدس الغربية .

قد تعشق الأذن قبل العين أحيانا

ثلاثة أصوات عربية عربية تحمل اللهجة المصرية دخلت بيوتنا خلسة دون استئذان ، من خلال المذياع ، منها صوت يهدى إلى الصراط المستقيم ، ومنها صوت ثائر على كل مستعمر وعميل ، ومنها صوت يملؤنا بالعشق والحب ، وينقلنا إلى عالم قيس وليلى ، عالم الأساطير .

فصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد - ألف رحمة عليه - كان يتلو علينا في ليالي رمضان ونحن حول مائدة الإفطار ما تيسر من آيات القرآن من سورة الإسراء وسورة ليلة القدر إلى آيات من سورة البقرة وعمران . يسبق صوته الملائكى صوت المدفع معلنا الإفطار ، الله أكبر الله أكبر .

صوته كان موعدنا مع حبة التمر وشراب قمر الدين (المصنوع من المشمش) وتمر الهندى وشراب عرق السوس المعطر ، نطفىء بها ظمأ طول النهار ، لنبدأ أولى ولائم الإفطار .

أما صوت عبد الناصر فقد دخل بيتنا صارخا فى وجه العدو الغادر ، يرفض الاستعمار ، يرفض الاحتلال ، ويعيد لنا التاريخ الزاهر لأبطال مثل خالد بن الوليد ، ويذكرنا بصلاح الدين الناصر .

عبد الناصر جمع الفلسطينيين على أرصفة الشوارع فى المقاهى ، فى البيوت فى شوارع القدس العتيقة ، جمع أبناء جميع الطبقات كما يجمع الشيخ الناس سويا فى مساجد الله مسجد الأقصى والصخرة فى قدسنا العربية ، (الزبال والضال والمهندس والطبيب) .

وفى ليلة الخميس من آخر كل شهر يطل علينا صوت أم كلثوم ، صوتها الساحر ، يكلمنا عن العشق والغرام وعن الحب والآمال ، تكلمنا بلسان وحال كل ولهان على أنغام الموجى وبليغ حمدى وغيرهما من الملحنين والشعراء والموسيقيين ، يرفعون باللحن والكلمة عن صدرنا حملا ثقيلا ولو لساعات ، ننسى فيها قسوة الزمان ولكن لا ننسى أبدا فلسطين وطن الأوطان .

فى ساحة المدرسة جاءت الأصوات من مذياع باصات المدرسة من مذياع الحوانيت بالشارع تردد الأغانى الوطنية ، تحمل إلينا بشائر النصر ، وترد لنا كرامة العمر التى سلبت على أياد همجية همجية .

نركب باص المدرسة متوجهين إلى البيوت كان سائق الباص ينزل التلاميذ حسب المسار ، وفى رحلتنا هذه نرى الناس فى الحوانيت ، يتسابقون لشراء المواد الغذائية الضرورية، وبالعناق والقبلات يتلاقون مع أهلهم وأصدقائهم وجيرانهم ومع من لا يعرفون ؛ الفرحة تطل من العيون ، والأمل بالعودة يملأ الجفون . كثير من الناس فى الحوانيت كانوا يلتفون حول المذياع ، ليستقوا الأخبار من صوت فلسطين ومن صوت العرب من القاهرة ، إلينا تنقل هذه الاذاعات أجمل العبارات ، وجميع ما يحدث على ساحة المعركة من تطورات ونحن فى الباص ننظر شمالا ويمينا ، ونهتف مع المذياع مرددين :

والله زمان يا سلاحى .. الله أكبر

اشتقتلك فى كفاحى .. الله أكبر

انطق وقول أنا صاحى ... الله الله الله أكبر

وينقلنا عبد الحليم حافظ لنغنى معه مقاطع من أغنية ذكريات يأتى صوته حزينا ليعبر عن مآسى شعبنا وعن هول ما أصابنا ليخفف بعض الآلام ويحاول أن يضمد بعضا من الجراح ، نردد معه بدموع غزيرة وآلام عسيرة :

ازاى فى اللد والرملة كانت العملة مأساة كاملة ، استشهد أخوى فى أراضيها وبين روابيها وحبيبته خطيبته منساشى لوعتها وكلامها لصورته

ازاى يا حبيبى ازاى غشوك

ازاى بسلاحك بأيديك قتلوك قتلوك

ازاى ازاى ازاى

أسلحة فاسدة وخسرانة غشيتنا حكامنا . دسوها ليه ؟ ليه ؟

تاجروا فيها ؟ وقتلونا بيها ليه ؟ ليه ليه ليه ؟

كانت مصر فى قلب كل فلسطينى ، وكان عبد الناصر الزعيم الذى توّجه الشعب الفلسطينى دون منازع . لقد أحبنا عبد الناصر فأحببناه فى بنائه للسد العالى وتأميم القناة ، وفى انتصاراته فى حرب ٥٦ . أحببنا عبد الناصر الأب والأخ والصديق والحبيب .

أحببناه لأنه أحبنا ، وآمنا به لأنه آمن بنا لأنه كان سيفنا فى الدفاع عن حقنا .

كان عبد الناصر أملنا ، كان عزمنا ، عقلنا ، قلبنا النابض بالحرية والوطنية ، كان ابن مصر البار ، ابن الأمة التى ذكرها الله فى كتابه الكريم إذ قال : «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين» ، آمنين بأهلها وحبهم النقى وضميرهم الطاهر الذى ينبض بالخير والعطاء .

أحببنا مصر وأبناءها ، أحببنا مصر وقائدها . أحببنا الأمة العربية كلها ، لأن مصر كانت هى الوريد الذى يربطنا دائما وأبدا مع أهلنا العرب فى كل مكان . كان صوت عبدالناصر يجمعنا وحبه لنا يقربنا . كان الأب الحنون الذى ستر لنا عوراتنا ، وأخذ بأيدينا للنهوض من سبات الجهل إلى نور العمل والعلم ، كانت اليد التى تمتد إلينا فى غرقنا لتسبح بنا إلى شاطىء الأمان ، شاطىء ملىء بالأمل ، شاطىء بعيد كل البعد عن الهوان والمحن ، فيه العزيمة ، فيه تحطيم للعبودية ، فيه المحبة والأخوة التى تجمع شمل الأمة العربية .

والدى والذكريات

اليوم الخامس من حزيران عيد ميلادى ، أنتظر هدية السماء فى عودة فلسطين إلى أهلها المشردين فى العراء .

اللقاء مع القدس التى تدعى القدس الغربية أصبح قريبا ، ورؤية بيتنا خلف بوابة «مندلبوم» أصبح وشيكا .

لطالما حدثنى والدى عن القدس التى جزأها العالم إلى جزءين غربية وشرقية ، نقيم نحن الآن فى القدس الشرقية ؛ وخلف سور رهيب يقع النصف الآخر للقدس العربية .

حدثنى والدى عن فيللتنا التى تقع فى حى القطمون ، يقول والدى:

الفيللا تتكون من دورين . تطل شرفها ونوافذها على بستان أخضر كنت لونته بزهرة الفل والياسمين ومن دم قلبى زرعته بورد الأقحوان الأحمر ، وعند مدخل كل باب من أبوابه زينته بقناديل مثل قناديل علاء الدين لتنير المكان للزائرين .

فى هذا البستان قضيت أجمل الأيام مع أصدقاء من اليهود والمسيحيين نسهر كل ليلة لنسمع أذان الفجر معا .

قضينا أمسيات جميلة مع رفقة تلك الشابة اليهودية التى كانت تأتى إلينا بورق العنب الذى لفته أصابعها المكحلة أظافرها بلون الوردة الجورية . أما جانيت فكانت تتهادى إلينا تحمل الكعك المعجون بالقرفة تملأ أركانه أطيب أنواع العجوة العراقية .

نتسامر مع الأهل والجيران تحت شجرة الخوخ والرمان ، ننعم بنسيم يحمل أريج الليمون ، ونافورة مياه تعزف لنا أجمل الألحان لـ باخ Bach أو الفصول الأربعة لفيفالدى Vivaldi أو من لحن كان قبل وصولهم نغمه السلام .

فيللا القطمون

يروى أبى «حسين على قليبو» – الذى ورثت عنه الصدق والأمانة – الحكاية عصر كل يوم وبعد أن تخرج أمى لتقوم بأحد النشاطات ، إما فى الجمعيات أو بعض الزيارات للأهل والأحباء .

نجلس أنا ووالدى لندير معا عجل الذكريات ، وليرد على أسئلتى الملحة والمتعطشة لمزيد من المعلومات .

أجلس بجانب والدى أقشر له البزر (اللب) وبعضا من الفستق الحلبى لأن أسنانه شاخت وكبرت وكسر المكسرات عليها صعب . كنت أستمتع بلحظات الود الصادقة التى كانت تجمعنى ووالدى كل مساء .

كان أبى مريحا هادئا وصريحا نستطيع معه أن ننسى فوارق السنين مع الاحتفاظ بالاحترام ، وبصوت خافت رزين فيه تجارب كل أهل الستين يقول :

يا ابنتى اليهود كالمسيحيين فى فلسطين يعيشون ، لذا لم نرتب منهم ، فقد كانت تربطنا أواصر محبة وعلاقات وصداقات طيبة مع العائلات اليهودية الفلسطينية كالعائلات المسيحية .

كنا نمضى الليالى معا بين أكلة شهية من صنع راحيل ، ومكدوس صنعته مادلين اللبنانية ، يأتى إلى بيتنا أبراهام وشمعون وموشى مع عائلاتهم ، نلتف حول البيانو نعزف أجمل الألحان من أغانى عبد الوهاب وليلى مراد واسمهان .

(والدى كان ماهرا فى العزف على البيانو والعود «وهَّابى» أى من عشاق الفنان الكبير محمد عبد الوهاب) ، كنا نغنى يا ابنتى فى ذلك الزمان من «يا جارة الوادى» إلى «يا وابور قول لى رايح على فين» .

من أبى حسين تشربت الولع بالطرب الشرقى الأصيل ، فترعرعت على أنغام سيد درويش وعبد الوهاب ، وغنيت ورقصت على أغانى فريد الأطرش من أغنية نورا نورا يا نورا إلى أغنية حكاية غرامى ، أما أغنية دقوا المزاهر.فكانت أغنية كل لقاء وسهرة .

أغنيتى المفضلة والتى كنت ألح على أبى أن يغنيها لى لأرقص عليها هى أغنية صباح الشهيرة زنوبه زنوبه حلوة وخفة وحبوبه ، كنت أستعد لهذه الأغنية بأن ألبس فستانى الزهرى الجميل الطويل الذى خاطته لى خياطة القدس الشهيرة لوريس . كنت فى السابعة من عمرى أريد أن أكبر لأصبح جميلة كصباح وشادية أتغنى وأتبختر .

لاجئون اسمهم ساميون

جرت العادة على أن يكون هناك يوم أو يومان فى الشهر تخصص فى المساء جلسة لضم الأحباء .

أما استقبال أمى فكان ليلة الأربعاء من آخر كل شهر ؛ وكان الاثنين الأول من كل شهر مخصص لجدتى عند الأهل ومن يوجد عندهم بنات فى سنى ، كانت أمى تصحبنى لألعب معهم أو لنتحدث عن المدرسة أو عن فيلم سينما أو كتاب قرأناه أو شاب فى الطريق كنا من بعيد لمحناه .

اذكر جيدا زيارات أمى لابنة عمها أم سمير زوجة مفتى القدس الشيخ سعد الدين العلمى ، كانت هذه السيدة قريبة وصديقة وجارة ، كانت أمى تعزها وتحترمها لأنها امرأة ذات خبرة ودراية . كانت أم سمير فى عمر جدتى ولكن حديثها وابتسامتها عند ملقاها كان سر صباها ، وكنت لا أضيع هذه الزيارة إلا إذا كانت هناك واجبات مدرسية تستدعى البقاء للدراسة .

كانت ابنتها فاطمة صديقتى ، نجلس فى غرفة النوم نقرأ الشعر لأدونيس ونزار قبانى ونسترق من الزمان الساعات والثوانى لنتعلم عن المرأة وعن العشق وعن الغرام على أيدى أشهر الشعراء ، وإن كنا اختلسنا وقتا للقراءة عن الحب ، فلقد كنا مدمنين قراءة الشعر لفدوى طوقان ومحمود درويش . شعرهما يسرد الحكاية ، ويبقى السؤال : متى تكون يا إلهى النهاية ؟.

فى معظم الأيام كنت أفضل البقاء فى البيت لأخطف من الزمان أجمل الأيام مع والدى «أبى على» أجمل الآباء يقص علىَّ فى شرفة الليوان ما شغل بالى وبال كل إنسان .

نجلس على كراسى من القش لونها كجذع الشجر انسابت ضفائر بين ثناياه كلون ورق الشجر الأخضر تحت عريشة تتدلى منها قطوف من العنب الأحمر وأحواض من «تم السمكة» البنفسجى والأصفر ، وشموع من القرنفل الأبيض والبنجر ارتمت تحت أقدامنا ، ونحن من فوق الشرفة جالسين نسبح فى صنع الخالق نسجد ونتأمل .

أرى يا ابنتى فى عينيك نفس السؤال . اتركينا اليوم بعيدا عن المآسى ، لقد سمعت ما يشيب له الرأس وأنت ما زلت لم تكملى الاثنى عشر عاما .

لا أريد أن أجهدك يا أبى ، فأنا أعلم أنى أفتح جرحا فى القلب أشد من ضربة خنجر ، جرحا من ظلم الظالمين ، علينا أن نتحمله حتى يأتى يوم النصر وفلسطين تتحرر .

تعالى يا ابنتى نتمشى بين الأزهار ونقطف بعضا من الثمار ، علنا نستطيع معا - ولو بالكلمات - أن نفرج عن همنا ونقص الحقيقة نأخذ ثأرنا .

هجرة اليهود إلى فلسطين بدأت تحت حكم العثمانيين وأخذت فى الازدياد فى العشرينات والثلاثينات بعد أن أخذت العنصرية النازية فى أكثر مدن أوروبا تكشف عن أنيابها لهذه الأقليات السامية اليهودية .

حزن الشعب الفلسطينى لما حل باليهود ، فمن سمات العروبة والإسلام الخير والمحبة وحماية الزوار ، أخذ الفلسطينيون يفتحون أبواب بيوتهم لليهود إخوتنا فى العرق - وهم أيضا أهل كتاب - لينعموا بالأمان ، أسكنوهم أرضهم وشاركوهم زادهم وشاطروهم حزنهم، مؤمنين بأنهم يحمون هؤلاء الضعفاء . نعم لقد قدم الفلسطينيون الحماية والملجأ لإخوان خذلتهم أمم أوروبية ترفع رايات تدعى الاستقلال وتطهير البشرية .

نعم أشرك الفلسطينيون اليهود فى زادهم وأرضهم ظنا منهم أنهم يساعدون قوما استضعفوا دون ذنب أو خطية .

كنا مثلهم ساميون وكانوا للخطر يتعرضون ، فأحسسنا أن هذا الشعب

السامى يهان على أيدى الشعب الآرى.. أشركهم الفلسطينيون فى أرضهم ليساعدوهم ، وليقدموا العون والأمن لأبناء العم ، أبناء اسحق عليه السلام .

ما كان الفلسطينيون بطاعين ، فتحوا قلوبهم قبل فتح بيوتهم لهؤلاء اليهود اللاجئين إلينا هاربين من العنصرية النازية التى قذفت بهم تحت شعارات من التخلف والرجعية : ألمانيا فوق الجميع Deutschland Uber Alles .

تحت وطأة هذه المخاوف ، يستكمل أبى قائلا : رأينا من الواجب علينا حمايتهم ، وكان هذا فى نظرنا أقل الممكن . وتتوالى فصول الحكاية وبنظرة حائرة دامعة يقول : لم نكن نعلم يا ابنتى فى حينه – ونحن نفتح أبوابا ونمد جسورا من المحبة والأخوة مع هذا الشعب المظلوم – أننا نفتح أبوابا يتسلل منها اللصوص إلينا ، لم نكن نعلم أنهم قراصنة سيحتلون ديارنا ويسلبون تراثنا ، ويقتلون ثقتنا فى الإنسانية والمعاملات البشرية .

أرض الميعاد

فى أيام الشتاء كنت وأبى نجلس فى الليوان ، هذا الصالون هو جلسة أهل البيت والمقربين من الأصدقاء والأهل والجيران .

كم جمعنا كانون النار حوله ، نشوى فى ناره حبات من الكستنة (أبو فروة) ، كان والدى يصلبها بالسكين حتى لا تفرقع وتطير حاملة النار إلى السجاد العجمى الذى انتقاه بذوق وفن، وله مع كل سجادة من السجاجيد حكاية حب وغرام ؛ فقد كان أبى فناناً بطبيعته ، عاشقاً للجمال ، فى اللوحة ، فى الموسيقى ، فى الطبيعة ، فى الوردة والحجر وفى سجادة إيرانية رسمتها وحاكتها أياد بشرية .

بحسه المرهف يضع قشرا من الليمون أو البرتقال حتى يبخر رائحة النار . أمى تأخذ بالتقشير وأيادينا نحن الأخوة الأربعة - أنا وعلى وعمر وسيرين - نتسابق نحو الصحن نتخاطف الكستنة ، قبل أن تهبط إلى أفواهنا تطير .

يجلس والدى فى الشتاء لابسا عباءة مصنوعة من وبر الجمل أهداها إليه أحد الأصدقاء وهو عائد من سفره فى تجارة تمت فى بلاد العراق ، ويضع على رأسه العمامة التى حاكتها أمى بكل عناية ، نجلس حوله ملتفين وكأنه أمير المؤمنين .

تداعب أختى سيرين أباها متسائلة : توجد الليلة حكاية ؟ ونردد : نعم يا والدى ، بالله عليك نريد أن نعرف المزيد عما جرى فى دير ياسين والقسطل . تطلب أمى من وداد أن تعد لنا أكواب الشاى لتجلس معنا فيما بعد ونسمع من أبى الرواية .

أذكر يا أولاد أن المفسدين دخلوا البلاد ، وأخذوا يسطون على قراها مهددين أمن الأم والأولاد .

صمت والدى واستجمع أنفاسه ، وأخذ رشفة من الشاى لكى تستطيع أن تخرج كلماته ، والدموع تنسكب من عينيه خبرنا عن ظلم الدهر وإجرامه . مذبحة تلو الأخرى تضرب أبناء الشعب الفلسطينى ، عمليات منظمة من الارهاب .

هؤلاء اليهود القادمون إلى ديارنا مستغيثين ، الهاربون من ظلم النازية ، الناطقون بلغات متعددة أجنبية ، منها البولندية والانجليزية والألمانية ، وأشكال غريبة لا تمت بصلة إلى الأمة العربية الإسلامية ، أخذو يشكلون الجماعات الإجرامية ، يقتلون أبناء فلسطين الأبية ، ترتوى الأرض بدماء الشهداء ، ويسقط أحد أبناء القدس الشرفاء ، ويصمت أبى ونحترم ألمه ، يقول أخى على ليحرك المكان : الليلة ليلة باردة .

ويطرح أخى السؤال : أترى سنفيق غدا وقد لبس جبل الطور سرواله الأبيض ، وشوارع القدس فى الثلوج أخذت تتلألأ؟

ياريت ياريت يا على ، فالمدارس بالطبع ستغلق وسنلعب فى الثلوج ، نبنى رجلا من الثلج مع أبى وأمى ، فيكون فمه من البندورة ، وعيونه حبتين من الزيتون ، وأنفه دائما وأبدا يحيرنا ، أترى هذا الشتاء ماذا سيكون ؟ زر من أزرار فستانى القديم الأصفر أم حبة من الكرز المعلب الأحمر؟

ويعود أبى ليكمل الحكاية : قتلوه فى مذبحة القسطل ، قتلوك يا عبد القادر الحسينى وأنت تدافع عن الأهل والأرض ، تدافع عن حرية الوطن وعزته . تقاتل من تسلحوا بأحدث الأسلحة لدمار الأرض والسكان . تقاتل من ملأوا البحر والوديان بدماء شهدائنا الأحرار .

أخذت عصابات المخربين من الكاخ والهاجاناه الذين جمعت بينهم صفات مشتركة وعلى رأسها حب الاغتيال والخيانة ، بقتل النساء الحوامل ، اغتالوا فى الأحشاء الجنين ، قتلوا العمر ، قتلوا السنين ، أبادوا البيوت على أصحابها ، قتلوا العواجيز قبل الشباب .

قتلوا أجمل ما فى الوجود ، قتلوا السلام ، فأشاعوا الفزع بين الكنعانيين ، مخربين مدمرين باسم التاريخ وباسم الدين .

كانت البلاد يا أولادى فى ذلك الوقت تترنح تحت الحكم البريطانى ، الذى جاء مباشرة بعد الحكم العثمانى ، والذى دام احتلاله مئات من السنين ، فأصبحنا تحت مظلة هذا العصر من العلم والثقافة والأسلحة مجردين .

جاء الصهاينة إلى ديارنا يحتمون من ظلم النازيين ، جاءوا لينتقموا من أبرياء الفلسطينيين ، أصبحنا الضحية ، وأصبحوا يحملون الجنسية الإسرائيلية .

فتحنا لهم الأبواب لنحميهم من الإبادة الجماعية .. فاقتلعونا من بيوتنا حاملين شعارات تعلموها من النازية ، وكان الشعار جديدا جديدا على أمة الإسلام واليهود والمسيحية .

إذا كانت ألمانيا تريد أن تحافظ على نقاء العرق الآرى ، فإن الصهاينة من أبناء السامية جاءوا إلينا بشعار تقشعر له الروح البشرية .

ورفع الشعار عاليا فى وجهنا ، ووجه العالم والانسانية ، رفع الشعار حاملا وجها جديدا من وجوه الاستعمار والتخلف المستتر باسم الحقوق المنسية ، بأن اليهود شعب الله المختار ، وبأن فلسطين هى الديار .

والدتى وماكينة الخياطة

تجلس والدتى وجيهة نسيبة خلف ماكينة الخياطة ، رجلها ثابتة على دعاسة الماكينة تديرها بفن وإتقان ، يشع من وجهها كل الحب والحنان وهى تدير هذه الآلة لتصلح شأن ستارة كان قد أفسدها الزمان أو من أمر فستان ، ترسمه بنقوش من فنها تجدده فيصبح جديدا ويبهر البصر ويحيرك وتسأل نفسك : أمعقول ؟ أهذا ذلك الفستان ؟ .. وبفن واستمتاع تزخرف القميص بالأزرار ، فأراها حالمة فى عالم الحاضر أم داهمتها ذكريات الزمان .

تحتضن ماكينة «سنجر» محتضنة معها أجمل الأيام ، وتنتبه إلى وجودنا ، تلملم نفسها بسرعة ، أترى هل قرأنا ما فى خاطرها؟ وبعفوية وبساطة تسرد لنا الحكاية :

يا أولادى إن ماكينة الخياطة هى ما تبقى لى من أجمل الأيام ، هى سلواى وهى شريط ذكرياتى ، تأخذنى إلى أيام صباى . تعود بى إلى شارع يافا ، شارع الموضة والأزياء ، شارع الحلى والمجوهرات الذى ازدهرت جيوب أصحاب حوانيته من ملوك العالم والأثرياء .

تجول عينا أمى فى السماء وكأنها تقطف منها أجمل اللحظات ، يحدثنا صوتها كشهرزاد آت من دنيا ألف ليلة وليلة ليحكى لنا ، يناغى أحاسيسنا باهرا إيانا بجمال المكان.

كان هناك يا أبنائى أكبر معرض للخياطة يمتلكه توفيق وفا الدجانى وهو من أهالى القدس الأثرياء اسماه عايدة تيمنا بابنته التى كانت فائقة الحسن والجمال من عالم الملائكة والخيال ؛ هناك أنا وأختى وجدان وكفاية تعلمنا فن الخياطة . فى ذلك الوقت كان مطلوبا من البنات أن يكونوا سيدات بيوت معدلات ، وكان

مطلوبا من الفتاة أن تكون مجهزة بسلاح الحياة ، وأن تتعلم الخياطة كما تتعلم اللغات والقراءة ليس كبنات اليوم فقط عليهن بالدراسة .

كان مطلوبا من الفتاة أن تتعلم فنونا كثيرة مهما كانت الحالة بسيرة . الأصول أن تذهب إلى بيت الزوجية ومعها شهادات فى فنون الطهى والخياطة إلى جانب الاعدادية والثانوية .

تعلمنا الخياطة على أيدى سيدة بولندية جاء بها والد عايدة لتدير المكان ولتعلمنا فن القص ، تحمل لنا آخر الصيحات من دور الأزياء الأوربية ، تعلمنا رسم الموديلات للكبيرة والصبية .

أما عن اللغات فتعلمت أنا وإخوتى العربية والإيطالية وقليلا من الانجليزية فى مدرسة راهبات الساليزيان التى صارت اليوم نسيا منسيا .

قصتى يا أولادى مع القدس طويلة ، وعشقى لها عشق الوالدة والمولودة ، جدى حسين نسيبة كان من أكبر اغنياء فلسطين يخزن الذهب لكثرته فى علب من التنك .

يملك أبى الكثير من الأراضى الواقعة فى قالونيا ، وهى مصيف من مصايف القدس الجميلة ، لنا بيت هناك يعيش بين الجبال ، فيه كنا نقضى العطلة الصيفية بعيدا عن ضجيج المدينة ، نستنشق بين هضابه أنقى الهواء ، ونلعب بين أحضان وديانه صباح مساء .

تتنهد أمى ألما قائلة : قسم الغادرون فلسطين الجميلة بقرار من هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ ، فأصبحنا بموجب هذا القرار على أرضنا مشتتين واليهود من حولنا بسرعة البرق مخترقين أجواء السماء ومندفعين من البحار يطردوننا من أرضنا ، يقتلعوننا من عشنا ، وبظلم يصبحون للوطن مالكين .

قسمت فلسطين وقسمت القدس كما قسمت برلين ، منحوا اليهود الغربيين الحق فى الاستيطان ؛ وراحت فلسطين من هيئة الأمم لليهود هدية ليكفر الأوربى عن ذنب ارتكبه تجاه الشعوب السامية ، جاءوا ليعوضوا اليهود فى أوربا الخسارة ، باسم العدل والحضارة ، وأصبحنا نحن شعب فلسطين الضحية ، وأصبح اليهود فى العالم أصحاب أرض وهوية .

البحر الميت

جرت العادة على أن تلتقى العائلة على مائدة البحر الميت مرة فى كل شهر ، والقمر بدر البدور يتغندر ويمشى مختالا بين النجوم ، كالعروس بين أترابها من حولها كالشموع تزف فى السماء ؛ من فرحته أضاء لنا المكان يملأ الكون سلاما . هو مفتاح سر الوجود .

نلتقى جدا وجدة وأعماما وعمات وأخوالا وخالات ، لننعم بالسهر على ضوء القمر . ويسبق الرحيل إلى البحر الميت الكثير من الاستعدادات وإعداد أطباق من المعجنات .

تقف أمى فى المطبخ مع من يعاونها فى المنزل ، يلفون هنا وهناك ما بين الثلاجة والفرن وصينية مستطيلة أو مستديرة وحلة صغيرة وكبيرة ، وهذه السكين غير ماضية ، وأمى ملكة النحل فى مطبخها ، لا يهدأ لها بال حتى يتم إنجاز أشهى المأكولات التى يتهافت على تناولها جميع الحاضرين والحاضرات .

نساء العائلة يتنافس منافسة شريفة للحصول على المركز الأول فى الطهى وفى تحضير الأطباق اللذيذة .

كل مشهور بصنع أكلة معينة . أما أبى فقد سبق النساء فى صنع السلطات ، فهو يصنع سلطة البندورة بالطحينة – مكونة من البندورة التى تقطع إلى قطع من الروبى الأحمر ويضاف إليه البقدونس الأخضر وقليل من الثوم الطازج المدقوق بالملح ، يضاف إلى خلطة الطحينة والفلفل وزيت الزيتون وعصير الليمون الأصفر .

يلف خصر أمي المريول وتبدأ بتحضير ما لذ وطاب من المأكول . أمي مشهورة بعمل طحال المحشي بالفلفل الحار والبقدونس ومكسرات الصنوبر .

كانت العائلة دائما تطلب هذا الطبق بالذات في جميع المناسبات إذا كانت في دعوة للمنزل أو في الرحلات .

تنزل أسراب من السيارات وكأنها قافلة حجاج أخذت على نفسها عهدا على تجدد اللقاء مع كل طلة بدر في السماء .

حال الوصول نبدأ بسرعة بمساعدة السائقين بترحيل البطانيات وفرد البساط ، الجميع – الأطفال قبل الكبار – يحملون بفرح واحساس بالمسئولية الأكل والماء ، الشراب والصحون والكاسات وفي لمح البصر تكون الموائد قد فرشت والأطفال والكبار قد هرعوا إلى احضان البحر الميت .

كل سيدة من السيدات تتباهى بصنع يديها تهندسه في الأطباق ، هناك اللحم بالعجين مصنوعة صنفين ، واحدة باللحم والطحينة والصنوبر وواحدة بالبندورة والبقدونس والخل والكزبرة والثوم المبهر ، والأخرى خالية من اللحوم لأن زوج ابنة عمي هيفاء د . حسام وفا الدجاني كان نباتيا .

كنا الصغار نتهافت على أكله النباتي نجد فيه لذة ربما لأنه ليس ما اعتدنا عليه في عقر الدار .

وتمتد أنواع من السمبوسكة ، بعضها محشي بالجبن الأبيض النابلسي والبقدونس، والبعض الآخر بالسبانخ والسماق والبصل .

أما امرأة ابن عمي موسى نعمة اللبنانية كانت مشهورة بالكبة البيروتية والتبولة تزخرفها بالخيار والخس كلها شهية تفتح النفس .

الحديث عن الأكل يطول والأنواع كثيرة ، والفواكه من ربوع فلسطين عزيزة على قلوبنا . كنا في تلك الأيام فرحين ننعم بالخير والحب في كل حين مجتمعين على الحب ، نركض ما بين حضن العم والخال نتدلل ولا نشبع أبدا من هذا الحنان ، وعلى صوت كركرة الأراجيل نجلس حول جدي حسين نسيبة مستمعين.

أما قبل أن نبدأ الحكاية فعلينا أن نتعرف على راوى الرواية ، جدى يعقوب الذى يحمل بالوراثة شرف حمل مفاتيح كنيسة القيامة ، سلمت تلك العهدة إلى العائلة فى زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب - ألف رحمة على روحه - فى الفتح الإسلامى للقدس .

حصل بين الأخوة المسيحيين نزاع بين الطوائف على من سيحمل شرف فتح الكنيسة والحفاظ على مفاتيحها . وحلا للنزاع وللحفاظ على الوفاق بين رؤساء الطوائف قدم المفتاح إلى عائلة نسيبة التى عرفت بأمانتها وإخلاصها وسمعتها الطيبة .

هذه العائلة من الخزرج ، نصروا النبى (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة ، ولقبوا بنسيبة نسبة إلى نسيبة المازينية «أم عمارة» التى حاربت بجوار النبى (صلى الله عليه وسلم) حتى قال عنها النبى (صلى الله عليه وسلم) «ما التفت يمينا أو شمالا إلا وجدت نسيبة على يمينى». هذه العائلة من أقدم عائلات فلسطين فى القدس إن لم تكن أقدمها .

أما عائلات القدس المشهورة فجاءت جميعها وعرفت بدخول صلاح الدين الأيوبى الذى جدد العهدة العمرية فيما بعد ما بين عائلة نسيبة وعائلة جوده بالنسبة لمفاتيح كنيسة القيامة .

جدى يعقوب نسيبة هو من أوائل المترجمين المشهورين فى فلسطين ، كان يجيد سبع لغات وحائزا على شهادات تقديرية كثيرة من القدس والولايات المتحدة، الحديث عن هذه العائلة وجدى يطول .

استطرد وبصوت يملؤه حب الأجداد والجميع حوله يلتفون بحزن وحنين يقول : آه يا أولادى ، آه يا أحفادى ، هذه السهرات تذكرنى بتلك الليالى الجميلة التى قضيناها على شواطىء يافا الحبيبة .

كنا نعيش قبل الاحتلال والتقسيم فى نعيم ، نسهر مثلما نسهر اليوم جميع أفراد العائلة مجتمعين ، ألف رحمة عليهم آبائنا وأعمامنا وأخوالنا وجميع الأهل والأصدقاء على ضوء القمر فى يافا يحلو كل شهر السمر .

ما أجمل وأروع شواطى يافا تحمل قوارب الصيادين من أبناء فلسطين ، يعيشون باللقمة الحلال كلها من خير الله وخير تلك البحار ، يرمون الشباك فى البحار قانعين برزقهم ويهللون شاكرين ربهم .

أما بيارات يافا فكانت من الأزل القديم مشهورة ببرتقالها وعبير زهره يعيش فى أنفى وسيبقى حيا ما حييت فى حاسة شمى ، بخور آت من مهد بيت لحم يحمل عطر المسيح وطهارة أمه مريم يعطر الهواء وينقى المكان ويضيف جمالا على جمال .

برتقال يافا يومها لم يعرف الكيماويات ، لم يعرف سوى أيادى أبنائها الأمناء ، زرعها فلاحو البلاد بحبهم وسقوها من عرقهم وغذوها بروحهم وفدوها يوم الفداء بدمائهم ، أحبوها وأحبتهم .

قام الإسرائيليون بقلع بيارات يافا الغنية بالبرتقال ليبنوا على أراضيها عاصمة من الحجارة أسموها تل أبيب . بكيت الأرض اغتصابها ، وغضبت السماء على قلع أشجارها وأخذت بالثأر البرتقالة الوفية لأصحابها .

قتل الإسرائيليون بيارات يافا ، وسلبوها اسمها ليستغلوه فى أسواق التجارة ، فبرتقال يافا كان مشهورا فى جميع أنحاء المعمورة ؛ لذا سولت لهم أنفسهم أن يتاجروا باسم برتقالها ليدر عليهم المال ، فيافا اسم فى الأذن رنان ، وصدروا للعالم برتقالا من كل مكان يحمل اسم يافا ، وصنعوا العصير وطرحوه فى أسواق أوروبا وأمريكا ، باعوا فى العالم المتحضر اسم يافا سارقين أرضها وسارقين اسمها .

لكن هذه البرتقالة اليافوية حافظت على عهدها للأم الفلسطينية ، وحافظت على عروبتها ولم تحمل إلا اسم أهلها ولم تتحول إلى اسم مستعار كما فعلوا فى الكثير من أسماء مدن فلسطينية وقراها ، يريدون بذلك إلغاء حقيقة الجنسية ، ليظهروا أمام العالم أن فلسطين بلد دون شعب ، صحراء جافة لا تحمل أسماؤه أثرا للمدنية .

كيف يا عالم يكون ذلك ؟ وهى مهبط الديانات . لم يتغير اسمها لأنهم أرادوا بها التجارة وهنا كانت الخسارة ، فما كان إلا أن ردت تلك البرتقالة الجميل إلى أهلها ، وإلى تلك الأيادى التى حرصت على رعايتها وزرعها ، وحملت اسمها العربى يافا إلى أنحاء المعمورة ، لتبقى يافا الفلسطينية العربية خالدة فى ذهن كل إنسان يحمل الضمير هوية ، لتحكى للعالم الحكاية الحقيقية ، بعيدا عن التزوير فى التاريخ ، وفى الأسطورة هذه البرتقالة اليافوية كانت أصدق من ألف رواية مزورة إسرائيلية ، برتقالة عربية صغيرة تغلبت على دهاء ومكر الصهيونية.

أرادوا أن يحققوا دخلا كبيرا من اسم برتقالها الشهير ، فباعوا أرضها ليسرقوا اسمها ، ولكن هذه البرتقالة لم تحمل إلا اسم أهلها ، لم تتحول يافا فى يوم من الأيام إلى اسم مستعار من دولة الاستعمار .

كيس من الأرز والسكر

فلسطين الحبيبة كانت محور الحديث بين أفراد عائلتى ، فلسطين فى القلب ، فلسطين فى العقل ، فلسطين فى الروح ، فلسطين فى كل زاوية من زوايا البيت .

حول مائدة الطعام فى الساعة الثانية من بعد ظهر كل يوم تجتمع العائلة ، نجتمع لنأكل الطعام أم لنجتر عن فلسطين الكلام ؟ فالكلام عن حيفا والناصرة ويافا وصور ومساجد عكا، عن اللد والرملة يهز وجداننا ويهز أيامنا ويهز فينا آلاما وآلاما .

يتكلم الجميع عن الوطن المسلوب وكأنه عائد غدا أو بعد غد، لا يهم إذا كان فى الشروق أو فى الغروب . الجميع متأكد من العودة والجميع فى انتظار هذه اللحظة .

إن العرب والمسلمين لن يسكتوا أبدا ، اسمعوا يا أولاد إنهم يهددون ويتوعدون إن العرب لن يسمحوا بضياع الديار ولن يقبلوا بما حل بإخوتهم من دمار .

سنى الصغيرة وبراءة الأطفال جعلت الأمور مشوشة فى عالمى الحالم ، أخذ عقلى يخلط بين الخيال والواقع . أيعقل ما يقولون ؟ أيمكن لبشر فى العالم أن يفعل ما يفعلون ..

وجلست مع نفسى الحائرة مرارا ومرارا أسائلها ، أحقا ما يقولون ؟ أحقا يستطيعون ؟ كيف ؟ كيف يستطيع من لا يملك بيتا أن يقسمه بين عمه وخاله ؟

هل هناك قوانين تسمح بأن توزع الديار ؟ وهل هناك قوانين تسمح بأن تهجر من بيوتها الصغار ؟

لوهلة فرحت كثيرا – لسذاجتى وصغر سنى – بشئ ابتدعناه وأسميناه هيئة الأمم المتحدة .. وأخذت أقول لنفسى هيئة الأمم الغربية لابد أن تكون سخية

سخية .. لماذا لا نذهب إلى هذه الهيئة الكريمة .. ونسألها أن تقسم أمريكا الشمالية «الولايات المتحدة» ليهدوا أهل حيفا ويافا وكل من أشركوا فى ديارهم الهاربين من النازية عام ١٩٤٨ ، بأن تقسم بالمقابل أمريكا الشمالية قسمين فتصبح الشرقية والغربية ، لتهدى إلى أهل بلدى بعضا من الولايات وبعض البيوت ، تحميهم من حر الصيف وبرد الشتاء . قد يكون لأهل بلدى فيها بعض العزاء.

إن الذى يهدى ديارنا للغير لابد أن يكون من الكرماء . هؤلاء الكرماء فى إهداء أموال الغير ، لابد أن يكونوا أشد كرما بأموالهم ، وأكثر عفة وشرفا فى ديارهم .

وبلمح البصر رفضت حتى سذاجتى وصغر سنى هذه الفكرة ، ورفض عقلى الصغير هذه السرقة ، أخذ ضميرى يفكر بمصير هذه العائلات المسكينة التى لم ترتكب ذنبا فى اتخاذ قرار كان ضحيته شعبنا . ماذا سيحل بأهل هذه الديار ؟ ماذا سيجرى لهم وللصغار ؟

وأخذت أصرخ بتفكير عال مجنون ، لا لا لا وألف لا ، أنا لا أستطيع أن أقبل بهذا التقسيم، لا .. ماذا سيحل بأهل من يسكنون هذه الولاية ؟ إن هيئة الأمم المتحدة لن تعطيهم بلادا من الهدايا ، بل سوف تهديهم كيسا من الأرز والسكر وبطانية وملاءة ، ليسكنوا بعدها فى خيمة المنفى والمهجر ، بين تلال من القمامة فى صبرا وشاتيلا وتل الزعتر ، ويقيمون بين زرائب النفايات والقذارة فى مخيم من مخيمات الوحدات أو الأشرفية .

حتى الحلم رفضته ، رفضت بشدة أن أحلم بتكرار المأساة على شعب لا أعرفه ، أن يتألم مثلما تألم شعبى فى المنفى ، رفضت أن يحلموا مثل الفلسطينيين مأساة القرن العشرين وجوازا من التهجير .

نعم نعم الأرض سلبت ، وحرمة البيوت اغتصبت ، وذكريات أهالى فلسطين من صور فوتوغرافية لجد وجدة وحفيد على الحائط ، بأياديهم كسرت .

فقد الفلسطينيون الأرض العربية ليبعثروا فى أنحاء الكرة الأرضية، باحثين عن حقيقة التاريخ وعن الهوية .

أسعد وسعاد

بدأت حركة الهاجاناه وغيرها من الحركات المتطرفة من اليهود العنصريين يفتكون ويقتلون أبناء فلسطين .

تعالوا معى لأسرد لكم حكاية صديقى الطبيب النفسانى أسعد المصرى؛ حكاية طفل فى السابعة من عمره . فى ليلة من ليالى الربيع فى نابلس التى تبعد حوالى ٧٠ كم من القدس ، جلس الطفل الصغير يشعر بالأمان والاستقرار بين أفراد أسرته حول مائدة العشاء يستمتع فى هدوء وصفاء ذلك المساء . سعدت سعاد وأسعد بحنان الوالدين ومن حولهم الأعمام والعمات يتهامسون بود ويسردون أجمل الحكايات على الأولاد .

وفى قمة سعادة اللحظة كسرت الأبواب ودخل المخربون من الهاجاناه كالشهاب يصوبون الرشاشات والبنادق تجاه صدور هؤلاء الأبرياء .

كانوا يظنون أنهم فى بيوتهم آمنين ولم يحسبوا حسابا لهؤلاء المسلحين المخربين. أطلقوا الرصاص بجنون شمال يمين ، ليجد أسعد أباه وعمه بالدماء ملطخين .

وبصوت أعلى من صوت المدافع والرصاص تهتز له الجبال والوديان يصرخ أسعد : أيها القتلة أيها المجرمون ، قتلتم طفولتى ، وقتلتم حب أمى ، وسرقتم من أختى أباها ، وحكمتم علينا باليتم ونحن مازلنا أطفالا ، كنا ننام على صوت أبى يحكى لنا حكاية كل ليلة ، وتحوطنا أمى قبل النوم بآيات من القرآن الذى انزله الله سبحانه وتعالى .

وبقى أسعد مع آل المصرى فى نابلس وبحكم العادات والتقاليد ، ليرعى بين الرجال من أعمام ، أما أمه فكانت مقدسية من عائلة صيام، عادت كعرفنا فى فلسطين إلى بيت الوالد ، لتسكن من جديد القدس القديمة وبرفقتها ابنتها سعاد، لتربى بين أحضان الجد والجدة.

فى البيت مازالت تسكن احدى الخالات تحاول أن تصطحبها معها لتنسيها بعضا من أحزانها عند الصديقات لتلعب سعاد مع أطفالهن وبنات جيرانهن ألعابا كلعبة الأكس «الأولى»، والغماية ولعبة ضيفة ضيفة «الجارات والأمهات» .

أما الأم فكانت تقرأ لابنتها من الكتاب بعضا من الحكايات ، وتحفظها بعضا من السور والآيات .

قتل المخربون من الهاجاناه أبا أسعد ، مات أبوه ولم يعد يرى أمه وأخته إلا فى إجازة الخميس والجمعة ، يذهب إليهما محملا بالهدايا من جبنة نابلس ، طعمت بحبة البركة ومستكة عربية ، وبيده الصغيرة أيضا علبة مليئة بالحلوى والكنافة النابلسية .

عاش أسعد يتيم الأب بعيدا عن صدر أمه الحنون ، وبعيدا عن أخته سعاد التى كان معها قبل المأساة كل يوم يتشاجر ويلعب بسكون .

جاء الخميس وجاء أسعد إلى القدس ليسعد بلقاء أمة وينام فى أحضانها معوضا بعضا من الحرمان ، جاء ينام بين الأم والأخت ليعيد إلى قلبه الصغير بعضا من الاطمئنان ، ليناموا جميعا وقد ضمهم سرير مفروش بالحنان والأمان.

وفى يوم من الأيام ، والشمس حارقة والسماء خالية من السحب ، طلعت أم أسعد إلى سطح بيت والدها فى القدس العتيقة لنشر الملابس النظيفة على حبل الغسيل وتشد عليها بالمحابس حتى لا تطير ، وقفت تتأمل المكان وترى الحرم والأقصى بنور الرحمن يهللان ، وفى تلك اللحظة أطلق القناصة اليهود رصاصة من الغدر اخترقت قلب أم سعاد وأسعد لتموت شهيدة ، تحيا فى جنة الخلد ، ولتلتقى عند الخالق السلام أبا أسعد .

كان أسعد يتيما صغيرا لم يتم الثانية عشرة من عمره ، فبقى فى نابلس هو وسعاد، وأتم الثانوية ، وذهب بعدها إلى أمريكا لاستكمال دراسته ، ليصبح طبيبا مشهورا .

من استشهاد والديه استمد العزيمة ، ومن الجرح هزم الهزيمة . مضى على الدرب بكبرياء ليكمل مشوار الأهل الأوفياء ، عائدا إلى وطنه عام ١٩٩٦ ليخدم فى السلطة الفلسطينية ، عاد ليعيد الفرحة إلى قلوب أطفال الحجارة وقلوب أبناء المساجين ، وأبناء الانتفاضة .

عاد إلى القدس ليضع عند قبر والديه الزهور ، ويقرأ الفاتحة وآية من القرآن الكريم «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون».

عاد أسعد ليعيد البسمة إلى كثير من المرضى ، عاد ليعيد لنفسه السعادة بين الأهل والأصدقاء .

مسيح السلام واريحا

من القدس إلى أريحا كانت رحلة الشتاء إلى جبل قرنطن وعين السلطان لننعم بالدفء والهناء ، كان لعمى حسن هناك بيت له قرميد أحمر ، وبستان فيه البومل (نوع من الموالح) والبرتقال وشجر من النخيل ، يستقبل الزوار عند باب المدخل .

أما شجر الاسكدنية (نوع من الفاكهة) فقد اكتسى بمجموعات من فاكهته اللذيذة لونها بلون العنبر ، تلتف حول بركة السباحة كشمسية تظللنا من حرارة الشمس ، كمروحة ترطب الأجواء ، تحمل عبير النعناع البرى الأخضر .

تجرى فى بستان عمى قناة مياه تندفع من نبع عين السلطان، على بعد كيلو متر من البستان ، محاطا بالجدار والأسلاك حى لا يلوثه رعاة الأغنام ، وحتى لا يصبح مسبحا للمتطفلين من المشاة ، ولا سلة مهملات لعابرى السبيل من الجهلاء.

على امداد القناة ازدهرت أعشاب من البابونج والنعناع والزعتر فيها شفاء للناس من ألم البطن والبرد وللجسم وللأمعاء ، كانت أحسن مطهر .

اذكر رجلا ريحاويا يجلس بجانب الترعة بالقرب من النبع ، وجهه لوحته الشمس ، يصنع الشاى مع كثير من السكر لعشاق الحياة ، المتأملين فى جمال خلق الله ، ولسواح فى طريقهم إلى المعبد داخل المغارة ، الذى يضئ فى الليل كالثرية أعالى جبل قرنطن ، حيث مشى المسيح ليبشر بدين النصارى وينشر النور والسلام رسالة الحق فى كل خطوة خطاها .

وحول بركة السباحة ونحن نقشر برتقالة ، نحلى بها بعدما أكلنا ما لذ وطاب

من مقلوبة صنعتها امرأة عمى من اللحم والأرز والباذنجان قطفه البستانجى «الجناينى» من الأرض الخيرة طازجا ، وقطف معه باقة من البقدونس والنعناع وحبات من البندورة ، وحبتين من الليمون صنعت منها بنات العم عناية وهيفاء أجمل السلاطات مكيسة بأثواب من الخس ودوائر من الخيار والفلفل الأخضر والأحمر وورق شجر العنب لم يحن قطفه ، لكنه استخدم ليعطى مائدة الأكل أشهى منظر .

وفى غمرة الكلام التفت والدى إلى عمى حسن قائلا : بالله عليك يا أبا عارف أن تقص عليهم عن حلاوة سمك بلادنا ، فهم يا أخى كما تعلم لا يأكلون السمك إلا قليلا ، تارة تحمله خالة آتية من الكويت أو ابن عم عائد من السعودية ، الأولاد والله مساكين ، حرموا من خيرات بلادنا السليبة .

وأخذنا نلف وندور حول عمى نقفز فرحين : وحياة النبى يا عمى ، قص علينا الحكاية . كنا نتعطش للسماع عن كل ما له علاقة بفلسطين ، المهم أن يكون الكلام عن هذا الوطن الثمين ، كانت فلسطين شغلنا الشاغل وموضع قلبنا الطفل الحائر .

وبدأ عمى الحديث بجملة لا أنساها : لا تحزنوا يا أطفال غدا نرجع الديار ونقطف من بساتينها الأزهار ، ونتنعم معا إن شاء الله بخيرات الأرض والبحار .

أنا وأبناء العم وبنات العمات أخذنا نتخاطف النظرات ومن عيوننا تطل تساؤلات واتهامات، أدرك عمى ما يدور فى الخلد ، فأخذ يردد ويقول : نعم نعم يا أولاد فإن لفلسطين قرة العين سمك مشهور كبرتقالها . وهناك أسماك كثيرة ، منها الكبيرة ، ومنها الصغيرة ، أأتكلم عن سمك يافا ، أم عن سمك حيفا ، أم عن سمك بحيرة طبريا ؟.

أمى بذكاء الأمهات تناولنا بعضا من الحلويات ، فرحة لأننا مشغولون بسماع الرواية ، فنأكل الحلويات دون تضجر ودون تمرد، نعيش فى عالم عمى مع الأوطان والساعات تمر كاللحظات .

يستطرد عمي قائلا : أما طبريا يا أولاد فتقع شمال البلاد ، مدينة جميلة تحيط بالبحيرة كما يحيط الهلال ببعض من السماء .

شواطئ طبريا تطل على جبال الجولان ، فترفع طرفك من الماء إلى أعالي الجبال تراها معلقة كبساتين بابل معجزات البديع ، فيركع القلب خشوعا لخالق البهاء الجامع .

على بعد ما بين ٣٠ - ٤٠ كم يوجد جبل الشيخ ، الثلوج تلتف كالعمامة حول قمته ، فيصبح للناظرين إماما جليلا وقورا يشع النور من وجهه يقف حارسا أمينا ، يحمي السهول الفلسطينية ومن خلفها السهول السورية .

في طريقنا إلى جبل الشيخ تنصب شلالات ببستان تدر ماء عذبا ، ارتوى من مياهه صلاح الدين وجيشه وغيرهم من الأبطال في معركة حطين .

عمي يروى الحكاية ، وكلي آذان صاغية ، أحلم بفلسطين وعمري لم يزل سبع سنين ، يطير بي عمي بصوت كأنه تراتيل من أعلى الجبال إلى قعر البحار، عصفورة تطلق لجناحها وأحلامها العنان ، أتنقل من غصن برتقالة إلى صيد سمكة ، لألتقي بثرى حطين مع شهداء العرب وفلسطين . وفي غمرة الأحلام أهبط من عالم الأوهام ، لتقع عيني على وجه أبي ، ملأت الدموع عينيه وبانت الحسرة مرسومة على شفتيه ، خيم الحزن والألم على المكان ، وأدركنا كما أدرك شهرزاد الصباح ، فسكت الجميع عن الكلام المباح .

نازحون أم مهجرون ؟

أثناء لقائى بكثير من المفكرين فى الشرق والغرب، ومن أهل المعرفة والدراية ، وجه إلى شعبى هذا الاتهام . وكان هذا السؤال موضع الاهتمام .

كان اتهام الغرب مقبولا ، فالإعلام الصهيونى فى العالم كان يبث الخبث من الشائعات، وينشر الكذب من خلال جميع المحطات .

التليفزيون فى أمريكا يديره عباقرة المفكرين من اليهود ، ويغدقون عليه الكثير من أموالهم ومن مال أصدقائهم من جميع المؤيدين للأفكار الصهيونية العالمية .

فلا حرج عليهم أن غابت الحقيقة عن عيونهم ، كل ما هناك أن أدافع عن حقيقة قضيتى بصدق وكبرياء . ولكن سؤال أخى العربى أشد إيلاما ، واتهامه كطعنة خنجر فى القلب .

سأرد على السؤال اليوم لأقول لكم الحقيقة ، بأننا ما نزحنا عن البلاد ، ولكن هاجرنا تحت وطأة المذابح وتخاذل الأمم العالمية ذات الضمائر المنسية .

فما نحن والله بالنازحين، إنما هو لقب حملناه رغما عنا طوال هذه السنين .

وأنا ارفض بشدة هذا اللقب المهين ، أرفض بشدة غسل دما غ الأجيال من رجال المستقبل عربا ومسلمين . فنحن المهاجرين هاجرنا تحت وطأة المذابح ، وهدم البيوت لم نقف مكتوفى الأيدى بل دافعنا وندافع عن وجودنا طوال هذه السنين .

أبادوا الرضيع والجنين ، فهاجرنا من بيوتنا لننقذ العرق واحتمينا فى بيوت أهلنا من العرب والمسلمين .

يرن الهاتف فى بيتى وأنا أكتب هذه السطور ، أشاطر ابنى «مالى» الذى يدرس فى أمريكا هذا الهجوم ، يقول ابنى مالى خبريهم عن هجرة موسى ومحمد (ص) أليسوا هم بإخواننا عربا ومسلمين ، نعم ، هاجر النبى عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة ، ليحمى أسرة المؤمنين والمسلمين ، ما كان النبى بنازح أو هارب بل كان يعلم كيف يحمى أمته من الغادرين ، مهاجرا من ظلم الكافرين .

فأرجوكم يا أيها العباقرة والمفكرون ما نحن بالنازحين ، ولن نكون إلا بعون الله وبالحق إلى الديار عائدين منتصرين .

فامحوا من قاموسكم كلمة «نازحون» ، فنحن المهجرون المهجرون ، وبإذن الله عائدون عائدون .

بنت السلطان

فى الثامن من شهر أيار عام ١٩٩٧ ، اتصلت بى صديقتى مها عرام قائلة : عاملة اية يا سهاد أنت والكتابة؟ ما تيجى الليلة معاى .

أجبت : والله يا مها تعبانة ، كل سطر اكتبه لا يخلو من الدموع ، الحقيقة أعصابى تعبانة فالذكريات مؤلمة ، أيوه يمكن لازم أخرج الليلة لأفرج عن نفسى بعض الشئ .

مها : طيب يا سهاد ، شريف قريبنا جاى من الفيوم ، وهيوصل الساعة الثامنة والنصف مساء ، وأول ما يوصل أديلك هللو .. وتنزلى تقابلينا كالعادة أمام باب العمارة .

لم يكن هناك جدال حول المكان ، فإن قهوة بنت السلطان هو المكان حيث تتجلى فيها أنغام النراجيل ، فتعزف كالكمان أجمل الألحان .

المكان ذكرنى بأبى وطفولتى ، أبى يحب تدخين النرجيلة «الشيشة» ، والذى يذهب إلى بنت السلطان من المؤكد أنه غاوى شيشة ، أما صاحب بنت السلطان ، فهو رسام الكاريكاتير العربى المشهور مصطفى حسين . لذلك تجد لمسة الفنان الخالية من التكلف ، القهوة تضمك مع الشارع المصرى ، فتنصهر الفوارق ليصبح المكان جزءا من الزمان .

للشيشة فى حياتى طعم جميل ، لقد عشت أكثر من عشرين عاما فى الغربة بين السويد وأمريكا ، فغربة المكان أشعلت فى قلبى دائما وأبدا الحب والحنان لكل شئ ، تفوح منها رائحة الشرق وكل مكان تظلله طقوس عربية ، تحملنى إلى ذكريات طفولة فيها كانت الحياة هنية .

النرجيلة تذكرنى بأيام أريحا فى الشتاء ، وبالقدس صيفا ، وطقوس عائلية وتراث وتقاليد غير الاحتلال معالمها وبدلها ليجعلها سطورا نحكيها للأولاد والأحفاد عن وصال عائلى حرم من جماله أبناؤنا فى الشتات ، فوالله لا عزاء لنا فى غربتنا إلا الكلام والذكريات ، نسجلها فى الدفاتر لنحفظ لأولادنا ولو بعضا من صور نورثهم إياها ، حتى يتم الرجوع إلى الأوطان ، فيحيوا وأولادهم تراثا وتقاليد حرموا منها ، ليعلموا أولادهم وينشئوهم على عادات دوناها لهم رغم معاناة الغربة، وآلام الخيمة وصعوبة الحصول على لقمة عيش خارج البلد مرة ، ومعركة كل يوم فى الشرق والغرب ، لنحافظ على شخصية فلسطينية تحمل العروبة لغة وفكرا وأيديولوجية .

فى بيت جدى يعقوب كنا يا أولادى مالى وإيهاب نقضى يوم الجمعة من كل أسبوع ، نبدأ طقوس يوم الجمعة من الصباح الباكر، المياه الساخنة جاهزة للاستحمام ، الهندام نظيف جدا ، الحذاء يلمع كالمراية ، الجوارب بيضاء ، الشعر للبنات مضفر تلمه شرائط من الحرير متماشية مع لون الفستان ، إخوتى الصبيان يلبسون على القميص الأبيض الفيونكة متماشية مع لون السترة والبنطلون .

يخرج والدى من الحمام، نتسابق على تقديم كأس من عصير الليمون الطازج ، لنقدم له الحب والولاء ، مع كلمة نعيما يا أعظم الآباء ، ونقبل يده مستجدين منه الدعاء ، يحاول والدى سحب يده تواضعا منه ، ويقول فاتحا يديه ، رافعا وجهه إلى السماء : الله يرضى عليكم ويديكم الصحة والعافية ولا يحرمنى منكم ويرجعكم سالمين غانمين إلى بلدكم فلسطين .

أمى امرأة عظيمة علمتنا كيف نتعامل باحترام مع الكبار والصغار ، مدرسة فى غرس الأصول والعادات والتقاليد ، تنمى بيننا الأخوة دائما والتسامح والحب بعضنا مع بعض ، هى قدوتنا فى تقديم المحبة والولاء للوالد ، تعلمنا منها كيف نتسابق فى حبه واحترامه . تكلمنا عما يقوم به هذا الوالد العظيم من مشقة

ليوفر لنا أسباب الراحة والعيش الرغيد، بيتنا كان مليئا بالحياة السعيدة الهانئة طفولتى يا أولادى طفولة مقدسة ، طفولة أتمناها لجميع أطفال العالم، كم كنت أتمنى أن يكون بيتنا يا مالى وإيهاب هناك فى القدس لتنعموا مثلما نعمت ، ولتعيشوا تحت راية الوطن بكرامة وكبرياء ، بقرب الأهل والأحباء ، بأن يحظوا بما حظينا به من بر والدين قاما على تربيتنا خير تربية وذكريات طفولة خيرة فى القدس بلد الأنبياء .

فى صباح يوم الجمعة وبعد طقوس من النظافة ، وقلوب مليئة بالمحبة نجتمع جميعا حول المائدة لنأكل فطائر القدس الشهيرة ، « فطائر زلاطيمو» كانت هذه الفطائر هى أشهر الحلويات ، عجين رقيق جدا معجون بالسمن البلدى ، والحشوة مكونة من الجبنة النابلسية المصنوعة من حليب الماعز ، الجميع فى غاية الفرح، عقارب الساعة تقترب من ميعاد ذهابنا إلى بيت جدتى يسرى وجدى أبو الأمين .

يوم الجمعة لقاء العائلة ، نذهب وفى أيدينا الحلوى ، نتشاجر - الأخوة بعضنا مع بعض- على شرف حمل وتقديم الهدية الرمزية للجدة أم محمد المقدسية ، التى كانت تهرع إلى الباب للقائنا بالبسمة مرحبة قائلة : يا أهلا وسهلا بأبو على ، أهلا بالأحفاد . ونأخذ يدها لنقبلها حسب الأصول والعادات . جدتى على العكس من جدى ووالدى ، كانت تفرح جدا عند تقبيل يدها ، وأنا أول من قبل يدها وتوجها جدة على عرش الجدات ، تحس بالفخر والاعتزاز بابنتها وصهرها وأبنائهما ، كان لنا فى قلب جدتى محبة خاصة لأننا أول الأحفاد .

جدتى تدور فرحة فى أنحاء الدار ، تطلب من خالتى وجدان أن تضع الفحم على النار ، النرجيلة جاهزة نظيفة أدخلت إليها يد الجدة الحنون الفل والياسمين ، فلكم تعبت أعيننا من ملاحقة هذه الزهور وهى سابحة غارقة تضارب الأمواج ، ومع كل نفس يأخذه أبى يتبخر المكان برائحة العجمى والياسمين فتقر العين وتهدأ النفس لتحس بالنغم والجمال .

حول النرجيلة تجتمع الأسرة من الأخوال والخالات ، نلعب تارة مع الخالة مليحة وتارة مع خالى محمد ، خالتى مليحة كانت معلمة مدرسة بالوكالة ولم تكن قد تزوجت بعد، فكانت تغدق علينا الهدايا من ألعاب وشوكولاته، وكم كانت تطلب منى أن أقتلع شعرها الفضى الذى كان يتخلل شعرها الذهبى ، كانت تزعجها جدا هذه الشعيرات البسيطة ، فما زالت خالتى مليحة صغيرة ولا تعرف سببا لهذه الخيوط البيضاء التى زارتها وجعلتها فى قلق وحيرة ، فخالتى مليحة ظريفة وجميلة مما جعلها إلى قلوبنا قريبة .

لأبى معزة خاصة عند جدى وجدتى وجميع أفراد العائلة ، الجميع يأنس لجلسته ويطرب لصوته .

يوم الجمعة يجمع ما بين أفراد الأسرة ؛ ففى صلاة الجمعة تجلس العائلة بخشوع حول المذياع لتردد مع إمام مسجد الأقصى أجمل ما ورد من آيات ودعوات ، ومازلت أذكر الدموع فى عيون أهلى عندما يدعو الشيخ قائلا : «اللهم انصر الإسلام والمسلمين ، اللهم أرهم الحق حقا وارزقهم اتباعه ، وأرهم الباطل باطلا وأرزقهم اجتنابه يا أرحم الراحمين ، اللهم اغفر لى ولوالدى إنك أنت السميع العليم» ، وكلنا بصوت واحد نقول اللهم آمين آمين آمين ، اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه آمين يا كريم .

جدتى أم محمد موضع الأنظار ، يلف رأسها الصغير شال أبيض من الحرير، فهى المتعلمة الأمية تحفظ عن ظهر قلب كل الآيات القرآنية ، تزوجت وهى فى الثالثة عشرة من عمرها ، فلم تتم تعليمها ، جدتى كانت أم البنات وجدى أبو البنات ، رزقوا عشر بنات قبل أن يرزقوا أربعة أولاد .

يجيد أبى تجويد القرآن الكريم ، فبعد الصلاة والدعوات تطلب العائلة من أبى أن يسمعنا ما تيسر من القرآن الكريم ، وبعدها نرتل معا بعضا من المدائح النبوية ، كنا أنا وإخوتى الصغار نعيش فى بحر من الحب والوئام .

حول مائدة الطعام يجلس الصغار مع الكبار ، كلنا فرحين ، لقد عاد جدى أبو

الأمين بعد أن قام بالترجمة لأهل الخير والسماحة ممن أتوا بلادنا طالبين العفو من رب العباد ، بعضهم فى الحرم والأقصى ، وبعضهم فى كنيسة القيامة .

نخرج بعد الظهر إلى البستان لنغير المكان ونقطف الثمار ونلعب مع أولاد الجيران ، يبدأ المزيد من الأهل بالمجئ من خالات الأم وأزواجهن وأبنائهن ، وبنات الخالات والعمات والجميع أهل والجميع أحباب ، فبيت جدى قلب كبير فيه مكان لكل طارق وصالون لكل العابرين .

وحول نرجيلة المساء يحلو السهر ويحلو الغناء ، يأتى خالى حسين لأبى بالعود وتطلب خالتى كفاية من والدى الغناء ، هكذا كنا يا أولادى نقضى يوم الجمعة فى القدس أيام الصيف، وفى أريحا أيام الشتاء، فى بيت جدى الذى يقيم بين الموز والبرتقال ننعم بعطايا الأهل والسماء .

هكذا قتل اليهود فينا أن نعيد مع أولادنا وأحفادنا تقاليد الآباء والأجداد ، هجرونا بالشتات ، وأصبح تراثنا ، وأصبحت تقاليدنا تحمل فى القلب مجرد ذكريات . ولكن هيهات هيهات ، فيوم العودة يا أبنائى لابد أنه آت .

وثيقة أم جواز سفر ؟

فى بنت السلطان طلبت مها من طارق الذى يعمل فى القهوة اثنين شيشة تفاح ، وواحد معسل لشريف ، التفت نحوه متسائلة : إيه يا شريف ازاى الأهل فى الفيوم؟ .

– والله الحمد لله الكل بخير ويسلمون .

الفيوم بلد ريفى فى مصر ، تمتد بساتينه حول بحيرة قارون .

دار الحديث حول انشغال مها بمونتاج حلقات جديدة للتليفزيون ، ومن جهتى تكلمت بعض الشئ عن صعوبة كتابة هذا الكتاب، وكأى جلسة بين الأشقاء العرب يتطرق بنا الحديث دائما وأبدا عن آخر التطورات السياسية على الساحة العربية والعالمية ، وفى هذا الوقت بالذات كان الكلام عن بناء مستعمرة أبو غنيم بالقدس ، وسياسة نتانياهو الجديدة التى تقف أمام السلام موقفا سلبيا ، لقد حسب العالم كله أن الطريق إلى السلام أصبح حقيقة واقعة يوم وقع ياسر عرفات على اتفاقية أوسلو ، فإذا الحقيقة بيد نتانياهو تصبح خيالا ، وإذا بالنار تصبح رمادا.

وجاء طارق بالشيشة «النراجيل» ، لم يكن أحد منا من المدخنين الرسميين ، مجرد ذكرى وكلام على أنغام . المكان مكتظ بالناس ، فتاة تريد أن تخترق الجموع لتصل إلى أهلها حينما ارتطمت رجلها بشيشة مها رامية بأقراص الفحم على الأرض والمقعد ، التفتت الفتاة إلى مها وقد أحمرت وجنتاها خجلا معبرة عن اعتذارها الشديد ، أدركت مها أن هذه الفتاة ليست مصرية من لهجتها ، وأنها قد تكون فلسطينية .

بينما دار الحديث بين مها وهذه الفتاة ، كنت أنا مشغولة بطلب رأس جديد من معسل التفاح لها ولى مرة واحدة .

وبصوت يملؤه الفرح، التفتت مها نحوى قائلة : شايفة أنا كان قلبى حاسس أهو الست وأنت طلعتوا بلديات ، يا ستى دى فلسطينية زيك .

فرحت جدا بها وطلبنا من غادة المدهون التفضل بالجلوس معنا ، وسألتها : من أين يا صبية؟ ، أجابت : الأصل من مجدل الأبية، الولادة فى ليبيا العربية ، ولا أحمل إلا وثيقة للسفر هى الهوية .

– ماذا تقولين أحقا ما أسمع ؟ ، ألا تحملين جواز سفر بعد كل هذه السنين؟.

إن أولادى مالى وإيهاب مولودان فى السويد ويحملون الجنسية السويدية ، ويحق لكل من سكن فى السويد فترة خمس سنوات متتالية أن يحمل الجنسية .

عدت إلى بيتى ذلك المساء ولم يهنأ لى بال ولم يغمض لى جفن ، وفى بيروت وأهل فلسطين فى لبنان يعيشون فى الخيام ولا يحملون إلا وثيقة السفر والحرمان ، كأنها نجمة داود التى حملها الألمان لليهود ليستطيعوا التمييز ما بين الآرى الأصيل وهذا السامى الدخيل .

إنها لجريمة ارتكبت فى حق هذا الشعب المسكين ، حرمونا حتى من شرف الدفاع عن أوطاننا بإرادتنا ، جردونا من الفخر بانتمائنا وكأن فلسطين ليست بلادنا ، وأن وثيقة السفر هى الضمان للمطالبة بالعودة إلى ديارنا ، كم أخطأوا فى انتمائنا ، فلسنا بالخائنين لنذكر أرضنا وبلادنا بوثيقة سفر ، أخطأتم يا أمة العروبة المعادلة ، فنحن والله لن نبيع القدس ولن نبيع فلسطين حتى ولو حملنا جواز سفر من إسرائيل .

اتقوا الله فى أنفسكم ، لقد خضعتم كلكم للاحتلال من عثمانى إلى بريطانى وفرنسى وإيطالى ، وحملتم جوازات سفر مختلفة ، ومازلتم فى القلب عربا مسلمين .

فالذى يريد من شعبى أن ينسى وطنه وأن يخون الأمانة ، فليس له والله على أرض الأنبياء مكانة، والذى يريد أن يقيم فى الشرق أو الغرب ولا يريد العودة إلى قدس القداسة ، فله الخيار فيما اختاره ، وليس لنا الحق فى إجباره على العودة ما لم يكن عنده لفلسطين الوفاء وهناء العين ، ويكون الخلاص منه أعز لبلد لم يعرف عن أهله إلا التضحية وتقديم الروح رخيصة فداء لأرضه النقية .

فكم من الطيور هجرت أعشاشها طلبا للرزق ولم تكن تحتل أشجارها الأغراب ، ولكنها فضلت الهجرة طمعا فيما ستجده فى بلد الأغراب من الخيرات.

لقد عشت فى الغرب ما يزيد على العشرين عاما، وشاهدت العديد من أبناء الدول العربية ينغمسون فى الغرب وكأنهم أبناؤه ناسين اللغة العربية ، منفصلين تماما عن العادات الشرقية.

فلا يا أمتى العربية ، أعطوا أبناء شعبى الجنسية ولا تقيدوهم بسجون من العبودية ، انظروا إلى ديننا الحنيف ، دين الإسلام ، ففى الدين لم يجبر الناس على دخوله ، فإما أن يسلم المسلم بأمر الشهادة بأن يقول لا إله إلا الله ، بكامل إرادته غير مجبر من أحد سوى رغبته وإيمانه «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وإننا بعون الله للقدس عائدون.

فكيف يكون هناك إكراه فى الوطن ، فإما أن نولد وحبنا الأقوى لجذورنا ، وإما أن نموت وقد اخترنا كفن الغربة لأننا لا نستحق أن نموت على أرض النبوة بل أن نموت كما يموت البعير بلا عنوان أو هوية .

لقد حمل أولادى فى المهجر الجنسية السويدية ، وتكلموا اللغة العربية وعزفوا الجيتار والعود معا ، ولم ينسوا أبدا الجذور ، ولم ينسوا أنهم من أرض العزة والكرامة ، حملوا القضية رسالة ولم يحتاجوا إلى وثيقة سفر ، ليتذكروا أرض القداسة . إن حمل جواز السفر والبعد عن المكان لا يحمل بين طياته روح النسيان ، وإن غربة الديار لا تزيدنا والله إلا تمسكا بحقنا وإكمال المشوار .

حلم العودة

أخذتنى فرحتى ببدء حرب ٥ حزيران بعيدا بعيدا إلى ذكريات الطفولة مع قصص الأجداد والآباء ، غرقت فى حضن الآمال أحلم بالانتصارات .

الإحساس بالعودة بدا قريبا ، لقد حان موعد اللقاء مع القدس الغربية ، وضم كل شبر من فلسطين السليبة ، فلسطين يافا وطبريا وعكا والناصرة واللد والرملة ، فلسطين الماء والهواء والأرض والسماء ، فلسطين الماضى والحاضر والمستقبل ، فلسطين تراب الجد والاحفاد .

وصلت إلى البيت أطير فرحا ، أحلم بالعودة إلى الديار ، والدتى تنتظرنا عند باب البستان ونساء الأهل والجيران من حولها عيونهم مشدودة نحو السماء ، وابى يهلل بالانتصارات مع الجيران أناشيد العودة وتراتيل من التوراة والفرقان ، والناس فى الشوارع يهتفون ويغنون .

الفرحة تملأ الشوارع ، تملأ البيوت ، الفرحة بالعودة تفوق الوصف ، زغاريد النساء تملأ الأوطان ، والمآذن عبر الميكروفونات تؤذن الله أكبر الله أكبر على كل من طغى وتجبر ، الله أكبر القادر على كل شئ ، الله أكبر النصر لنا والقدس لنا ، وفلسطين عربية ، ويتعانق الهلال والصليب وتضرب أجراس الكنائس من بعيد وقريب ، الناس فى حفل زفاف ، وأخيرا ستزف القدس الغربية إلى القدس الشرقية ، لتحيا بعدها دائما وأبدا جسدا واحدا يحمل صوت الأمة العربية ، يحمل علم الإسلام واليهودية والمسيحية ، فإذا كانت مصر هى هبة النيل ، فالقدس هى هبة فلسطين وعطاء الله للعرب والمسلمين .

انطلق الشعب إلى الشوارع وصوت عبدالوهاب يهدر :

فلسطين جاوز الظالمون المدى   فحق الجهاد وحق الفدا

انطلق الشعب الفلسطينى فى الضفة وغزة ، ليستقبل أبطال مصر والعراق والأردن وسوريا وكل من جاء إلى الجهاد ، خرج الناس من بيوتهم ليستقبلوا الجنود العربية حاملين الأعلام الفلسطينية التى احتفظوا بها لمثل هذا اليوم المجيد ، مثل هذا اليوم الذى سينتصر فيه العرب الكرام ، حملوا الشراب والحلوى للقادمين من بعيد مخلفين وراءهم أمهاتهم وآباءهم وزوجاتهم وأبناءهم ، مؤمنين بالقضية الفلسطينية ، مؤمنين بالوحدة العربية ، بوحدة المصير ، وبعدالة قضية الأمة الواحدة العالمية .

المدفعية العراقية

خلف بيتنا كانت هناك مدفعية تدعى بالمجموعة العراقية ، جاءوا إلى القدس يدافعون عن فلسطين بإيمان وحرارة ، قانعين بأن هذه الديار ديار العرب أجمعين ، ومن يطعن أخانا العربى فى العراء ، فكأنما طعن الجسد العربى كله بلا استثناء ، فنحن يا إخوان أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة ، يطعنون اليوم فلسطين وغدا تمتد يد الغدر لتطعنا فى العراق ومصر وليبيا وسوريا ولبنان ، ونصبح فى بيوتنا غير آمنين .

وقف الجنود العراقيين أمامنا صامدين ، مقوين فينا العزيمة قائلين لا تخافوا تفاءلوا ، بإذن الله غدا سنكون فى فلسطين ، وستعم الفرحة قلوب كل الأخوة العرب من مسلمين ومسيحيين .

تمر الطائرات محلقة فوق رءوسنا وتهتز مع كل طائرة قلوبنا ، ترى هل دمرنا للعدو طائرة ؟ ، هل أصبحنا على مشارف البلاد ؟ ترى متى يتم اللقاء أبعد أيام أم بعد ساعات ؟.

صوت المذياع رفع إلى أعلى الدرجات وكأننا صم لا نسمع إلا إذا كان عاليا . رفعناه عاليا خوفا من أن تفوتنا كلمة لأحمد الشقيرى يبشرنا فيها بنصر قريب ، أم رفعناه عاليا لنؤكد لأنفسنا بأن الموعد مع الأهل أصبح وشيكا، وأن غدا سيكون بلا أدنى شك أجمل كثيرا ؟ .

ويأتى صوت المذياع ليخبرنا بين الحين والآخر بأننا أسقطنا للعدو طائرتين وأسكتنا للعدو مدفعية ، وأخذنا عددا من الجنود أسرى ، وبين الخبر الأول

والثانى تأتينا مواويل وأغانٍ . ونبدأ – صغارا وكبارا – نهلل لهذه الأخبار ، ويوزع الأهل الحلوى على الأصدقاء والجيران ، مصدقين كل الأخبار ، وأصبح المذياع يغدق علينا الأخبار بكرم ، انتصار يتلوه انتصار ، وكأن أبواب النصر كلها فتحت أمامنا ، وهزيمة العدو الإسرائيلى ليس فيها شك أو ريب .

وتستمر الأغانى الوطنية :

بلادى بلادى بلادى لك حبى وفؤادى فلسطين (مصر) يا أرض الكفاح أنت غايتى والمراد

مصر يا أم الخلود أنت غايتى فى الوجود

الله أكبر فوق جيش المعتدى

أطول يوم فى التاريخ

فى اليـوم الثـانى على وجـه التحـديد ، بدأت الدبابات تدخل البـلاد الدبابات تكتسى بالأعلام العربية ، المصرية ، العراقية ، الأردنية ، الجنود يطلون علينا من أعلى الدبابة يتكلمون اللغة العربية . فذهلنا لكثرة العدد وفرحنا ، لا نصدق أعيننا بأن الجنود العرب قد وصلوا ، وبأن الانتصارات بسرعة قد تتحقق .

خطابات وخطابات من كل الإذاعـات ، الملك حسين من إذاعـة المملكة الأردنيـة الهاشمية ، وعبدالناصر من مصر العربية ، وأحمد السعيد من صوت العرب ، صوت الأمة الأبية ، نستمد من خطاباتهم الحماس والشجاعة ندعوا الله أن يوفق خطاهم وينصرهم وينصرنا على أعدائنا وأعدائهم .

وكانت الأغانى الوطنية هى أجمل ما نستمع إليه ، أغنية عبدالوهـاب :

فلسطين جاوز الظالمون المدى ، فحق الجهاد وحق الفدا ..

وأغانى عبدالحليم وفايدة كامل وشادية ، وننشد معهم الأناشيد .

فى غمـرة الفرح ، بدأت الحقيقة تزحف إلينا ، كالأفاعى بطيئة فى زحفها ، قاتلة فى لدغها .

بدأت أخبار الهزيمة تتسرب إلينا من خلال المذياع ، ومن خلال القنابل التى أصبحت تنهال فوق رءوسنا كالمطر ، ومن خلال أناس غرباء جاءوا ليحتموا فى بيوتنا وترتسم على وجوههم صورة الهزيمة والانهيار .

أخذت أمى ترتجف خوفا علينا ، لا تعرف كيف وأين تخبئنا ، كان بيتنا مكشوفا ، يحيط به بستان ، يعلوه قرميد لا يحمى من غدر قنابل الطيران .

وأحس أبى بخوف أمى ، وخاف هو الآخر علينا ، كان هناك تمزق كبير فى داخلنا ، وكان ألف سؤال يحيرنا ، هل نفر هاربين كما فعلنا فى ٤٨ ؟ أم نبقى فى بيوتنا صامدين ؟، وما ذنب هؤلاء الأولاد المساكين ؟ القنابل فوق رءوسنا لا ترحم ، عناقيد من الحقد والغضب آتية ، نلتف حول أمى وأبى من شدة خوفنا ، نقرأ العذاب الحزن على شفتيهما ، واصفرار وجهيهما .

أخذ أبى يربت على كتف أمى معزيا بالخسارة ، ويطلب منها أن تهرب بنا إلى العوجا إلى أريحا ، لنهرب من الغارة .

وبسرعة البرق ذهب والدى إلى الخزينة ، أرضيتها خضراء يحيط بها إطار من الخيوط السوداء ، كل زاوية من زواياها المثلثة تضم وردة مذهبة انسابت ملساء .

وتمتد يده نحو مقبض الخزينة الحديدية ، ليدير أرقاما سمسمية تفتح أبواب مغارة على بابا السرية ، هناك بأمان نامت على رفوف حريرية الكنوز من أساور وعقود ومحابس وأقراط ذهبية ، منها ما تزين بحجارة من الماس ، ومنها من حمل فى وسطه حجارة من اللؤلؤ أو الزمرد أو الروبية ، وبين اللؤلؤ والروبى جلست هناك بانتظام كثير من الأوراق النقدية .

كنا قبل ذلك اليوم عند فتح الخزينة ، نجلس حول مائدة مستديرة ، تنساب فوقها قطيفة ، نتيه بجمال كل قطعة فيها ، لها فى قلب أبى وأمى معان وذكريات عزيزة .

أما اليوم فكانت قلوبنا منقبضة ، فلم نلحق أبى (لنلقى النظر) على المصاغ الذى كان فى نظرنا ثمينا ككنوز كليوباترا الشهيرة .

اليوم بدأنا نفقد البقية الباقية من فلسطين ، فأصبح أمام سقوطها يرخص الغالى والثمين . أخرج والدى وهو حزين جزءا من الدنانير ، ومدها إلى أمى طالبا منها الرحيل .

رفضت أمى بشدة إلا أن يجمعنا نفس المصير ، وقالت بعزم وإصرار : لا يا

أبا على ، علينا أن نبقى لنحافظ معك على الديار ، وإن كان الموت من نصيبنا ، فليس والله لنا إلا أن نرضخ للأقدار .

أمى أم عربية شجاعة ، فلسطينية مقدسية ، تعرف كيف تصمد أمام المحن ببسالة .

اجتمع فى بيتنا بعض الأقرباء والأصدقاء وبعض من أبنائنا ، وإن كانوا عن هذه الديار غرباء ، لنحتمى تحت سقف واحد ، مسلمين أمرنا لله ، لا نعرف رحمة أحد سواه .

اشتد هجوم الطيران ، وأخذت القنابل المضيئة تنير للعدو الدار ، وتكشف لهم مخابئ الجنود العرب داخل بوابات القدس العتيقة ، وخارج هذه الأسوار .

فى اليوم التالى قرر جميع الجيران أن نبيت تلك الليلة فى منزل أم عطاف الشنطى الأرملة التى تسكن فى أحد البيوت المستأجرة عندنا ، فبيتها تقف أمامه عمارة كالسد المنيع ، تتصدى لذلك السيل من القنابل ، وخلفه أيضا بيت مسكون قد تدخل شظايا القنابل عنده ، فنصبح فى بيت أم عطاف بإذن الله محميون .

أما فوقه فيقع الدور الذى يسكن فيه ابن عمى صلاح الذى جاء بزوجته من لبنان بلد الخوخ والتفاح .

فاعتقد جميع الجيران أن هذا البيت هو أحسن اختيار للبقاء فيه حتى مطلع الصباح.

ممن أتوا معنا ذلك المساء الأخوة صادق وإبراهيم الشنطى مؤسس جريدة الدفاع عام ١٩٣٤ فى مدينة يافا ، وهى أولى الجرائد الوطنية ، وتوقف صدورها بعد حرب ٤٨..

وكان هناك جمال الشنطى وزوجته زوزو التى كانت حاملا فى شهرها الأخير ؛ قلق شديد ومخاوف عارمة كانت تؤرق أهلها ، وصلوات من الجميع أن تمر الأيام بسرعة ، حتى لا يأتى ميعاد ميلادها .

أما فوزى الشنطى فكان هذا بيت حماته ، فأحسن ضيافتنا فى استقباله لنا

ووداعه . كما اجتمعت عائلة أبو العز غوشه ، وجارنا ابن العمد الذى لم يستطع أن يكمل المشوار إلى بيته من شدة القصف ، وكذلك بات معنا ابن خالة أمي على القطب الذى لم يستطع اللحاق بأهله عندما سبقوه للبقاء في بيتهم بأريحا حتى تنتهى الحرب .

كل الرجال يحاولون النظر من النوافذ ، جالسين فى الغرفة محبوسين .

ماذا يجرى فى الخارج ؟ لا يعرفون . يقلبون المذياع شمال يمين . أى من الإذاعات يصدقون ؟

فى البيت الجميع يتسائلون هل نحن عائدون ؟ هل نحن الخاسرون ؟ الكل فى رعب ، حيرة وارتباك . هل سقطت البقية الباقية من فلسطين ؟ وهل مات أحد من الأهل فى غزة أو بيت جالا أو بيت إمرين ؟

ألف سؤال وسؤال ، وحيرة وشك فى كل ما يقال ، أقبل الليل وأخذت الكتاكيت الصغار إلى أعشاشها فى حضن أمهاتها تهبط كأنه المطار .

يضمنا أبى تحت عباءته ، خيمة من أمان ، لتحمينا من غدر الطيران ، النوم يأبى أن يطرق جفوننا ، الخوف والرعب يمتلئ فى قلوبنا ، لكننا صامتون ، كل كلمة تخرج من أى فم هى أنين ، الليل طويل والنهار مر حزين .

الشمس صعقت واختبأت ، لا تنير ، ظلام محكم يلف هذه العائلة الكبيرة ، لا ترى اصبعك فيه ، ولا ترى إلا مأساة أهل فلسطين ، تتكرر تتكرر وكأنه كتب علينا ألا نعيش كبقية الشعوب فى ديارنا آمنين .

لا أحد يستطيع أن يصل إلى الحمام ، فالطريق إليه غامق عتيم ، الأرض مليئة بأجسام الجيران الذين يتمددون فى كل بقعة ، أن تعطش أن تشرب مستحيل ، علينا بالهدوء التام حتى لا ينتبه اللص إلى العرين .

كانت ليلة طويلة شاقة ضغطت على أنفاسنا ، كتمت على أرواحنا ، محبوسين فى بيوتنا ، محبوسين فى أفكارنا ، سجناء لا أحد فينا يعرف المصير .

اشفقت علينا شمس النهار ، فأقبلت علينا بنورها الجبار ، كالنمل هرعت

النساء إلى أعمالهن يدرن شئون أحبائهن وأولادهن انشغلت النساء فى تدبير الطعام ، يتنقلن ما بين الغاز والبوابير يطبخن المكرونة وتارة المجدرة وحلل من المهلبية .

يتبادلن الهمزات واللمزات ويمشين ذاهبات آتيات كالنمل يتبادلن رسائل شفوية ، رسائل وكأنها كتبت بأحبار سرية ، لا نفهم كلامها ولكن أصبحنا ندرك إيقاعها .

فنجان من الشاى آت ، وفنجان من القهوة ذاهب ، وسيجارة تشعل هنا ، وبقايا سيجارة تحترق هناك ، من يا ترى أكثر اشتعالا هذه السيجارة أم بنادق الأعداء ؟؟.

بدأت المأساة تتضح وبدأت الأخبار تنهال علينا كالقنابل الذرية تقتلنا تارة وتجرحنا تارة ، نكذبها ، نصدقها ولا نفهمها ، لا نجد تفسيرا لما جرى ، ولا نريد تحليلا لهذا السقوط ، لا نريد تبريرا لهذا الانهزام ، الواقعة قد وقعت والخسارة قد حصلت ، والضفة وغزة والقدس الشرقية قد سقطت .. سقطت قدس الأقداس وسقطت معها الحضارة فى الناس .

وانكشفت الخدعة الكبرى ؛ أن الجنود الذين استقبلناهم ما هم إلا جنود الأعداء ، لعبوا اللعبة القذرة ، وأخرجونا من الأبواب ، يمثلون علينا أنهم جنود العرب حتى لا تثور مقاومة الشعب ، كانوا جنود النجدة العائدين إلينا رافعين أعلام النصر ، أعلاما من التزوير والنصب .

بتنا لا نعرف المصير ، وخافت النساء على رجالهن ، وخاف الرجال على نسائهم ، وبدأت تنتشر الشائعات أن اليهود يغتصبون البنات ، ويقتلون الشباب ويموت الجنين قبل الميلاد .

كان أبى أكبر الموجودين سنا ، فأخذ يطمئنهم قائلا لهم إنه عاش مع اليهود أصحاب الكتاب ، وأنهم لن يغتصبوا النساء ، وطلب منهم الصبر وأن اليهود لن ينتهكوا الحرمات .

جنود من المرتزقة

نسمع من داخل البيوت تحركات سريعة صاخبة ، أجسام المظليين بالأسلحة الثقيلة تهبط فوق أسطح العمارات ، مسيطرة على جميع المداخل والمعابر فى الطرقات .

خطوات سريعة متوثبة وكأن هناك أحدا يلاحقها ، يتبادلون اللغات الأجنبية . كانوا مرتزقة من جميع أنحاء الكرة الأرضية ، لا نسمع منهم أى كلمة عبرية .

نسمع تخبيطا وتكسيرا ، صراخا كالجبروت ، نرتعش فى أحضان أمهاتنا فى كل لحظة، من الخوف نموت .

البيت بالجنود قد أحيط ؛ يا رب ، يا رب إننا نغرق فى محيط . نطلب من الجدران أن توارينا ، ومن سلاح الأعادى أن تحمينا ، نلتصق بها وبأجسام أهالينا ، اختبأ الصغار تحت السرير ، وقرأ الكبار سورة يس .

تساءلنا فى قرارة أنفسنا ، ماذا حصل لجنودنا ؟ أين هم من أحلامنا ومن أن تتوج العودة إلى فلسطين بانتصارنا ؟

فى هذه اللحظة أحسست بأن الحلم قد صلب وإلى السماء قد صعد ، وقع البيت أسيرا فى أيدى الأعداء ، طوفان من وراء الأسلاك محطما بوابة مندلبوم ، أغرقنا فى مصيبة ، تقلصت أمامها مصيبة ثمود وعاد .

تجربة جديدة ، خسارة مريرة ، العودة واللقاء بالإخوة قصة خرافية .

السكون يملأ المكان ، أبى هادئ فى خيمة إيمانه ، يعمر قلوبنا سكون وأمان ، أمى لا تكف أبدا عن تحويطنا بقراءة القرآن .

تحت سماء أبى وأمى أصبحنا شجعانا ، لا نعبأ بغرق فى الطوفان ولا بلهيب البركان ، أصبح الأمر كله سيان ، أصبحنا بنعمة الله فى عقولنا أحراراً ، وأصبح العدو أسيرا لا يعرف ماذا تخبئ له هذه الدار من أسرار .

عاصفة اجتاحت منازلنا ، وتحت تأثير سلاحها اقتحمت بيوتنا ، هدير يهدد ، كله تنذير . جاء صوتهم صارخا كالسعير : افتح أنت وهو الباب سريعا ، افتح انها أوامر عسكرية من الحكومة الإسرائيلية .

أوامر عسكرية !! حكومة إسرائيلية !! أسرعت النساء والرجال إلى الباب ، كل منهم يريد أن يحمى الآخر من مقتحمى هذه الرحاب .

دخل الجنود كالمجانين يدفعون من يقف أمامهم ، دون رحمة غير عابئين ، وعن الرجال باحثين ، وتحت تهديد السلاح أخرج الرجال من أوكارهم ، وأمروا أن ترفع إلى السماء أياديهم ، أم يا ترى أقدارهم ؟؟ يا لهول المنظر ، تحت سقف السماء وقف رجالنا الأبرياء .

ترى ماذا قالوا لرب العزة والجلال ؟ ، هل طلبوا من رب العالمين أن يحميهم من هؤلاء الضالين ؟ .

تقدم أحد الجنود من والدى الذى كان فوق الستين ، فركضنا نحوه أنا وأمى وعلى وعمر وأختى الصغيرة سيرين ، معتقدين أننا قد نحميه من هذا الجندى المتعجرف اللعين .

نظرة تحد من أمى ، تسأله ماذا تريد أن تفعل بزوجى الأمين ؟؟ نظر الجندى طويلا متأملا عيوننا ، لا يحرك ساكنا ، رق قلبه لحالنا ، تكلم مع الضابط المسئول باللغة الألمانية، طالبا منه أن يعفى أبى والمسنين من الرجال كصادق الشنطى وأخيه إبراهيم من هذه الوقفة المخزية ، فرحنا وشكرنا الله سبحانه القدير ، ودعونا أن ينجى أبناءنا ، إن الله سبحانه وتعالى كريم .

أمر الجنود المرتزقة والبنادق مصوبة على رءوس شبابنا ، أن يفسحوا قدر

المستطاع ما بين الأقدام ، ليتمكن الجندى باسم إسرائيل ، ونكسة حزيران ، من البحث عن السلاح والمسلحين ، الجيوش متأهبة لضرب رجالنا المصلبين .

المهزلة الكبرى عمَّ يفتش هؤلاء العساكر ؟؟ عن أسلحة . أسلحة ماذا ؟.. عمَّ يتكلمون ؟ ، ألا يعلم هؤلاء المرتزقة المتخلفون ، أن الشعب العربى من الأسلحة مجرد ، وبأن السلاح لا يحمله إلا المجند ، وأننا لا نستورد من أقاصى العالم جنودا لتدافع عن عرضنا وأرضنا .

إن الأنبياء والأديان لا تحمل ألا أسماءنا ، ولم تأت ألا من أرضنا ، أرض العروبة ، أرض إبراهيم جدنا ، وإن كتب التاريخ والتوراة والفرقان تشهد بأصلنا، وبالسلام والحب للعالم كانت رسالتنا .

جنود أردنيون

طال عند الجيران البقاء ، وأصبحت دورة المياه لا تطاق ، رائحتها الكريهة زادت من حدة الاكتئاب ، الدخول إليها أصبح اختناقا .

قررت بعد أن تحاملت على نفسي طويلا ، وبعد أن أصبح الأمر عسيرا ، أن أذهب إلى بيتنا الذى كان على بعد عشرة أمتار .

حاولت أمي والجيران إثنائى عن المخاطرة ، ولكننى صممت على أن ارتكب جميع الحماقات كى أدخل حمام بيتنا ، ولو كان مصيرى الموت .

ركضت ما بين البيتين ، فإذا برصاصة تمر أمام العينين ، أبصرتها عينى ، ولم يرها قلبى .

مشغول عقلى ، جسدى يسابق الزمان للوصول إلى هذا الحمام منقذ الإنسان.

باب المطبخ أقرب باب إلى دخول بيتنا الذى تركناه وحيدا ، يجابه حرب الخامس من حزيران .

ذهلت ولكنى دخلت ، فالباب كان شبه مفتوح ، أتركته أمي مفتوحا ؟ مطمئنة أن اللصوص أثناء الحرب فى جحورهم اختبأوا ، أم أنها فى سرعة الأحداث قد نسيت ، المهم الآن أن أصل إلى الحمام .

خرجت من بعد قضاء حاجتى ، لأسمع صوت أمي وأبى واخوانى ، عاد صوتهم يعيد الحياة إلى هذا البيت الذى هجرناه .

فرحنا جميعا بعودتنا إلى الديار ، وأخذنا نتنقل نتفحص الجدران ، وإذا

بشـــظايا قنبلة بعـد أن كـسـرت مـرآة أمى ، ارتطمت بـأحـد الحـيـطـان ، دخلت الشظيـة من الجانب الذى كانت به المدفـعـيـة العـراقيـة ، أقلقـنا هـذا ولكن ما باليد حيلة ، لن نعرف الآن ماذا حصل لهؤلاء الشجعان .

أخذنا نمشى فى بيتنا ببعض الاطمئنان ، أخذنا نغسل أنفسنا ونقلع ثيابنا ، لنلبس ملابس نظيفة ، نشكر على نجاتنا رب العزة الرحيم الرحمن .

ذهــبت إلى غـرفـتى بعــد أن غســلت نفسى من عرق الليل والنهار ، وعـرق الصدمة والانتظار .

أخذت أبحث عن حذائى بين الرفوف ، لا أجد له أثرا ، أترى هل أختبأ الحذاء خـوفـا من ضـرب النار ؟ ، أم سـقط هـو الآخر شـهـيـدا مـن الشـظايا التى رشــقت بيتنا فـى غـيابنا ونحن نختـبئ عند الجيران ؟ ، وأخذت أسـأل نفسى ، لماذا تركت حذائى من خلفى ولم أهربه إنها غلطتى .

كيف لم أحافظ عليه وأحمله ، هذا حذائى المفضل وكنت ألبسه كلما أحببت أن أتجمل ، وأفضله على جميع الأحذية .

خطر ببالى خاطر ، قد يكون الحذاء هو أيضا ذكى وشاطر ، ربما اختبأ تحت السـرير ، ينتظر نهاية الحرب حتى لا يقع أسـيرا انحنيت تحت السرير ، وإذا بصـوتى يعلو كالهدير ، صراخ رهيب من جرائه جاء أبى يطير بجناح عصفور ، ما الخبر يا سهاد ؟ ماذا جرى ؟ انظر تحت السرير .

جنــود إســرائيليـون مـخـتـبـئـون تحت الســرير ، وحــاول الجندى أن يطلع بســرعـة هو وصــديقـه ليطمـئننا أنهـمـا جنـديان أردنيـان ، وبأنهم فــروا من القـتال خائفين بعد أن خسرنا الحرب ، ولأنهما يلبســان لباس الجندية ، كسروا قفل باب المطبخ ودخلا ليحتميا ببيوت عربية .

قال احدهما مطمئنا : نحن لسنا لصوصا ، لا تخافوا منا ، نحن عرب مثلكم ، لقد كان العدو مستعد لنا وهيأ جيش مرتزقة أتى به من جميع أنحاء المعمورة ، مزودا بأحدث أنواع الأسلحة التى لم نشهد لها مثيلا ، لقد جاء قراصنة القرن

العشرين يحملون بنادق وقنابل تزودهم بها بلاد تدعى الديمقراطية ، بلاد تطالب العالم كله أن يلتزم بمواثيق الحقوق الإنسانية .

وفى الحال ساعد والدى الرجلين بإعطائهما ملابس عادية ليستبدلا ملابس الجندية ، ورمينا الأسلحة للآن لا أدرى أين ، لنساعدهم على الهرب من الأيادى الهمجية .

أكل الجنديان وشربا واغتسلا ، وكان الهلع على وجهيهما . شابان فى أوائل العشرينات ليس لهما ذنب سوى أنهما جاءا ليدافعا بشرف عن الوطن ، ليستردا حقا اضاعته أمم الحضارة ، ليعيدا أرض الحرم والقداسة . سقطت فلسطين ، وسقط فى العالم بعدها الضمير.

بأمان الله

كنا كل يوم قبل سقوط فلسطين ، نطل على الجنود العراقيين ، نطمئن على حالهم ونقدم لهم بعضا من الشاى والطعام والماء .

بعد وصول الأخبار إلينا بسقوط البقية الباقية من فلسطين ، وسيناء المصرية ، والجولان السورية ، أصبحنا نعلم بأننا محاطون بالأعداء من كل صوب وكل مكان . فالعشرة أمتار التى كانت تفصلنا عن الجنود العراقيين أصبحت وكأنها آلاف الأميال ، الخروج من المنازل مجازفة ، جيوش العدو الإسرائيلى تملأ الشوارع ، نسمع أصواتهم الغريبة عبر النوافذ والأبواب ومن المداخل والمعابر .

القنابل تنهار ليل نهار والرصاص نسمعه يطلق على كل مار . سجناء فى بيوتنا ، نختنق فى بلادنا ، لا نعرف ماذا يحدث وراء هذه الجدران . الكل فى حيرة يتساءلون أحلم أم خيال؟

وكان سؤالا واحدا يدور على الشفاه ، ماذا حصل لهؤلاء الجنود ، ماذا حصل لهم على أرض الأنبياء ؟ أترى هربوا راجعين إلى العراق أم يا ترى ماتوا ، قضوا نحبهم شهداء على ثرى القدس الشريف .

قبل أن نختبئ فى البيوت كنا نزورهم فى كل يوم ، ونقدم لهم الطعام ، ونشرب معهم الشاى ، يحدثونا عن الأهل فى بغداد ويكلمونا عن البصرة وعن دجلة والفرات . جاء أحفاد صلاح الدين ، جاء الأحفاد وهم على يقين من النصر، جاءوا فى شجاعتهم ونخوتهم المعتادة ليؤكدوا لنا أن العرب فى الضراء والسراء متحدون .

كان والدى يتكلم مع الجيران عن شجاعة هؤلاء الشبان ، الذين قطعوا المسافات الطويلة ، لا يعبأون بغربة المكان ، ولا يخافون من الزمان ، حملوا السلاح وبعض الطعام لينقذوا فلسطين والقدس واسم العروبة والإسلام .

لن أنسى هذه الوجوه الأبية ، لن أنسى تحيتهم لنا باللهجة العراقية ، ولن أنسى : ايش لونك عينى ؟ تبغى شئ ؟ وعند وداعهم كانت كلمتهم لنا : بأمان الله .

لقد كانوا من أوائل من نال على أرض القدس الشهادة ، شاهدنا فيما بعد جثثهم مبعثرة هنا وهناك ، جمعها الجيران ودفنوها فى المكان الذى استشهدوا فيه ، نذكركم يا أبطال العراق ونقرأ لكم الفاتحة كلما مررنا بالمكان . لقد ذهبتم إلى الجنة شهداء مؤمنين . وأنتم السابقون ونحن بإذن الله اللاحقون ، ودائما أبدا بأمان الله .

وإنا على العهد يا أبناء بابل لباقون .

يقينى بالله يقينى

بدأ الجميع يعد السابع من حزيران (يوليو) بالعودة إلى منازلهم ، الكل عاد مكسورا منهزما ، لا يهم الموت ، عدنا جميعا إلى بيوتنا ، ننام على الحزن باكين على فلسطين ، باكين على سقوط القدس ، تنهمر القنابل العنقودية من كل مكان ، تنهمر لتطفئ شمس النهار ، وتقتل قمر الليل ، لتكشف بالقنابل المضيئة (الكشافة) جنودنا المرابطين ، عن خيولنا الأصيلة الصامدين .

انطلق الرصاص من كل صوب ، بعثروا جميع ما فى المخازن ، من أكل ولوازم ، وأصحاب الدكاكين فى البيوت مع أطفالهم مختبئين ، أو فى ساحة الحرب مقاتلين .

أصرت أمى أن أنام فى غرفة آمنة معهم على الأرض فى معابر البيت ، لاعتقادها أن الغرف المحيطة بممر البيت ستحمينا أكثر ، خصوصا بعد أن دخلنا البيت لنكتشف أن شظايا القنابل كانت قد اخترقت غرفة نوم أمى ، محطمة مرايا السرير ، وحائط غرفة النوم وغرفة الجلوس ، وكانت هذه الغرفة هى الغرفة التى تطل بنا على الجنود العراقيين خلف منزلنا .

رفضت النوم إلا فى سريرى ، كنت قد تعبت من الإحساس بضياع المكان ، فلم يعد يهم أين أفيق وأين أنام ، وجدت أنى أريد الوحدة والخلوة لأحلل بينى وبين نفسى ماذا يجرى من حولى .

ولكى أدعو ربى فى خلوة سرية ، وأشكو له خيبة أملى بأنه لغيرى قدم القدس والبقية الباقية من فلسطين هدية .

اليوم عيدى يا رب وليس عيدهم ، هل نسيت يا إلهى ؟ إن الخامس من حزيران يوم ميلادى ، وفيه سلبوا أمانة كنيسة القيامة ، قبر المسيح عليه السلام، سلبوا الأقصى والصخرة .

ألم يسر من صخرتك وبإذنك عبدك ونبيك محمد (ﷺ) ليشفع لنا عندك يوم الدين والشفاعة ؟ .

سامحنى يا الله إن كنت أكثرت الشكوى ، فو الله ليس هناك غيرك من أستطيع أن أفتح له قلبى ، وأبث له ألمى ، وعذابى .

اللهم يا رب اجعلنا فى حكمك صابرين ، وفى حكمتك لهذا العار متحملين ، والقبول بقضائك ، وأن تكون علينا حافظا من جميع أعدائك .

ننتظر يا الله يوم يهل بالغفران هلالك ، وتشرق القدس برحمتك وأنوارك يا رحيم ، وتضئ العالم بحكمة علمك ورشدك يا عليم ، يا رشيد ، وتبسط على الناس البر والود ، وترفع من قلوبهم الشر والحقد .

أنت المعز المذل ، يا أرحم الراحمين ، انصرنا على كل الظالمين والكافرين .

جاءنى على السرير جوابه ، فنمت بين أحضان آياته واسمائه . وأحسست براحة الضمير ، وبأن هذا العالم كله صغير ، والقدرة الإلهية تحمينى ، ورب العباد فى ظل أمانة يغطينى ، ويد من السماء مدت تواسينى .

علمت أن نصر الله أكبر ، وأن الإيمان أعظم ، أمامه أعظم الجيوش تتقهقر .

دكان أبو حاتم

ضاقت البيوت علينا ، وأعلنت الطوارئ من قبل الجيش الإسرائيلى من التجوال تمنعنا ، ومن لقاء الجيران والأهل تحرمنا . أخذ الصغار ومن فى سنى فى الحوارى خلسة يتجولون وأخذ الكبار بزيارة بعضهم لبعض من الجيران يتعزون .

نحن الأولاد بدأنا نتخطى خطوط المنازل نتجه نحو الحوانيت والمتاجر ، دكان أبو حاتم اقتلعت أبوابها ، وفوق الأرض بعثرت محتوياتها ، دخلنا الحانوت لنصطدم بالمصابين والجرحى من علب الشوكولاته والعلكة والسردين ننقلها إلى بيوتنا لننقذها من أيادى المخربين ومن أرجل تلبس سباط الجيش الثقيل (أحذية الجيش) قد تركلها فتموت متأثرة بجراحها .

قدمنا الضحية قربانا نهديه إلى أهلنا عله يواسيهم فى حزنهم يرفع الكرب عن صدورهم .

الهدية لم تقبل كما لم يقبل الله هدية إبراهيم فى ابنه اسماعيل ، ولكن شتان ما بين الهديتين فهدية إبراهيم كانت فى أهله وماله فعفاه الله من تقديم فلذة كبده وقبل الخروف مخففا عنه مصابه .

غضب والدى وقال إن هذه الهدايا مال حرام وإن الله لن يغفر لنا إذا لم نقم بإيجاد حل لهذه المصيبة فى الحال ، أمرنا والدى بأن نضع جميع الجرحى على الطاولة لكى ترتاح وطلب أن نسرع لنداء الاصدقاء من الجيران ليقوم بتضميد الجراح .

جاء صادق وإبراهيم الشنطى إلى البيت مهرولين والقلق ينتابهم ، وعند

مشاهدة المعلبات بعض الشك ارتابهم متسائلين متعجبين .

جلس والدى خلف مكتبه فى وسط الدار يسجل اسماء وعدد ما أحضرناه من دكان أبو حاتم الجار ، ومضى إبراهيم وصادق يسجلون لسمائهم شهداء على من وجد فى بيتنا من نزلاء وسألت أبى عما يفعل ، رد : يا أولادى أن تأخذوا شيئا ولو بسيطا دون استئذان ، وان تدخلوا البيوت والحوانيت دون وجود أهلها فهذا والله حرام فى حرام .

ليس هذا ما علمته اياكم وليس هذه بتعاليم الإسلام ، قال الله تعالى فى كتابه الكريم من سورة النور بسم الله الرحمن الرحيم «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ، ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم». صدق الله العظيم .

يا أولادى هذه تعاليم رب السماوات لقد أكرمنا فأنقذنا ، فكيف نخون الامانة فى أهلنا وهو الذى حافظ على أرواحنا .

أبو حاتم عنده عائلة وأولاد سيحتاجون إلى كل قرش ليبنوا ما هدم حتى تعود الحياة إلى طبيعتها ويحصل من دخل دكانه على لقمة العيش والزاد .

كيف نقبل نحن الفلسطينيين أن نسرق ناسا فى غيابهم ، ونقدم الهدايا للغير بمالهم ، ليست الحرب فرصة لسرقة المال ، وانتهاك الحرمات ، خفنا وذعرنا من شر أعمالنا وطلبنا من أبى وأمى أن يغفروا لنا .

أنا وعلى انزوينا فى احدى زوايا البيت نطلب من الرحمن أن يغفر لنا ويسامحنا على ما كان ، وفهمنا لماذا دون أبى ما أخذناه ، أراد أن يدفع ثمن الأشياء ولو كانت بسيطة لأن الأمانة تستدعى أن نكون أصحاب فضيلة .

نظر إلينا نظرة حنان ، وقال : علينا فى هذا الزمان أن نحافظ على قيمنا الدينية والتاريخية ، وان نتحدى زمن البربرية ، وان نحافظ على أصولنا وعراقتنا ، فالناس معادن ولتتمسكوا ولتعلموا أن الأمة العربية جوهرة ، ما كانت فى مكان

إلا وخلفت وراءها حضارات من النور والعلم طوعته لخدمة البشرية .

أما يا أولادى مالى وايهاب وابنائنا من العرب فى كل مكان وزمان انى بدورى دونت لكم هذه الوصـيـة لتحملوا بدوركم من جديد تحت أى ظرف من الظروف اعلاما من الشرف والعدالة تخدم الإنسانية لا تفرق بين أسود وأبيض ولا تفرق بين سامى وآرى ، تكون منارا جديدا ، ورمزا للحرية ، تحققون فيه حلم الإنسان فى كل مكان بدءا بأمريكا الشمالية وفى الصين واليابان وفى بلادكم وفى أوروبا الغربية ، ليصبح شعاركم على كل لسان الخير والعطاء فى البحر والأرض والسماء .

رفـــع الحظـــر

عبر الميكروفونات جاء صوت العدو ليعلن بأعلى صوته بأن الطرقات مفتوحة وزيارة الاهل محظورة ، وان الاسواق لشراء الحاجات الضرورية لمدة ساعة واحدة ستكون مفتوحة ، ومن يشاهد بعدها فى الطرقات ولو لحظات سيتم حجزه ووضعه فى المعتقلات خافت النساء على رجالهن، فقمن بالخروج للاسواق ليقضين حاجاتهن ، التقت نساء بلدى بين الدكاكين ليعرفن أحوال بعضهن البعض ، يولولن على ضياع البقية الباقية من فلسطين ، يسرقن من الجندى الاسرائيلى بسرعة تبادل الكلمات فى قليل من الوقت ، التقين فى شارع صلاح الدين والرشيدية وفى دخلة باب العامود وداخل اسوار القدس القديمة الصامدة المحمية .

اصطحبتنى أمى معها لأساعدها فى حمل المشتريات لانه كان قد حرم علينا النزول فى جماعات ، العساكر يملأون المكان ، يطلون من فوق أسطح المساكن ومن الشرفات ، يقفون على باب كل حانوت ودكان يحملون الرشاشات والقنابل اليدوية ، ويحملون الخوف والهلع تحت زى البدلة العسكرية ، يحاولون اشعال الرعب فى قلوبنا لم يعرفوا ان البنادق لا تخيف ابدا نساءنا ، فهن اللاتى أنجبن ابناء الثورة الفلسطينية من عبد القادر الحسينى الى ابو جهاد الى ابو عمار الذين دافعوا الى يومنا هذا عن القضية ، هى ام غسان كنفانى وادوارد سعيد اللذين دافعا من المنفى بالحرف والكلمة كانت حياتهم فيه للقضية رسالة ، وكتبهم للحق خير وثيقة وشهادة . نساؤنا هن أمهات الشهداء اللاتى قدمن أبناءهن للوطن ، وعشن كريمات يدافعن عن العدل بكبرياء من الارض وفى وحدة الغربة لا تذل رءوسهن الا الى رب الارض والسماء .

جندى فلسطينى يهودى

جاء جندى شاب فى مقتبل للعمر فى اوائل العشرينات ، باحثا عن رجل اسمه حسين قليبو يسكن فى باب الزهراء فى شارع الرشيدية ومعه صورة لحسين اهداها تذكارا لاصدقائه اليهود قبل أن تفرق بينهم الحدود .

فتح اخى الباب وخاف فى البداية وارتاب ، سأل الجندى بلطف : هل يسكن هذا الرجل الطيب بينكم ايها الاحباب؟ ، دهش اخى وخاف فهذا الجندى يلبس الزى العسكرى ويتكلم بلطف ويسأل عن ابى ، تردد اخى بعض الشىء وسأله : ماذا تريد من أبى ؟ ابى رجل كبير ليست له علاقة بالحرب ولا بتقرير المصير ، فرد الجندى بأدب شديد ما جئت لأبحث عن أبيك لأسىء اليه ، ولكن احمل من والدى أمانة لا أستطيع أن أعود إلى بيت أهلى دون أدائها .

اقبل ابى ليطل على هذا الشاب فانهال الجندى عناقا وقبلات يملأ بها وجنات أبى ويبكى من شدة الارتياح والانفراج ، اخذ ابى يربت على ظهره مندهشا حزينا ، يا الله ماذا ألمّ بهذا الجندى الشاب ؟

قال أبى : اجلس يا ابنى استريح يبدو ان الحرب قد اتلفت لك الاعصاب ، فرد الجندى : لا يا سيدى انا من الجنود الاحتياطيين ولم أخض معركة ضد الفلسطينيين ، لقد تعبت وانا اسأل الجيران بحثا عنك ، وخاف الجميع فأنكروك حرصا عليك واخلاصا ووفاء لك ، خافوا ان اكون من المجندين الذين يزجون بآبائهم فى الزنزانة مساجين .

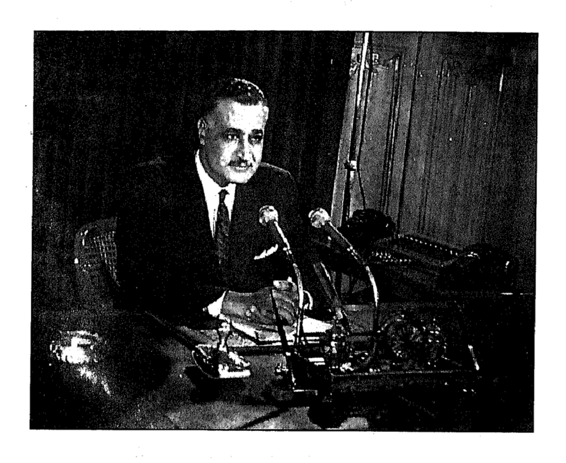
استرسل الجندى يقول : انا ابن صديقيك رفقة وابراهام ، وقد حملانى أمانة،

ان أطل عليك واطمئن على حالك ، وأسأل ان كان هناك ما يلزمك اثناء هذه الفترة العصيبة ان كان ينقصكم مواد غذائية أو تريدون قضاء حاجات داخل أسوار القدس أو خارجها فأنا فى خدمتك .

اخذ ابى ذلك الشاب بين ذراعيه والدمع ينساب على وجنتيه فرحا بهذا اللقاء، إذن انت ابن رفقة وابراهام بلغهما يا ابنى السلام ، بلغهما اننا على الود باقون مهما فعل الغزاة من ابناء صهيون ، فنحن أبناء العرب أبناء ارض فلسطين ، أبناؤها من يهود ومسيحيين ومسلمين سنحافظ معا على البلاد وستتطهر الارض بأيادى أهل الخير من أهل البلاد نستقبل سويا المسيح العائد الى ارض السلام والميعاد ، لننظف الارض من كل معتد وغادر لا يريد الخير لأرض القداسة أرض الانبياء .

يا ابنى ان لباس الجندية يكون لخدمة الإنسانية وللدفاع عن شرف الأرض والعرض ، وليس لسلب الناس أوطانهم وبناء البيوت فوق اكفانهم ، لقد جئت بريقا من الامل فأنت يا ابنى فلسطينى الدم والملفظ ، فهنا فى أرض الانبياء يسكن الجميع سواسية ، وانت قد تكون يوما ممن يقودون عالمنا الى عالم السلام ، عالم الامان حيث يسعى الجميع لأن تكون القدس موطن العلم والنور والاديان احمل الى والديك الامانة ، بأن حبهما وإخلاصهما لى فى هذه اللحظة كان أجمل رسالة .

قيل لكل زمان دولة ورجال ، فسئل من رجل هذا الزمان ؟ فقيل جمال



جاء خطاب عبد الناصر فى التاسع من حزيران يهز كياننا ونحن نئن تحت وطأة الانكسار فى عالم جديد كله حصار فى حصار .

اعلن عبد الناصر عبر المذياع للعالم عن أسفه على خسارة بيت المقدس وطن الانبياء متحملا المسئولية كاملة عن هذه الكارثة التى طرزت حواشيها بكثير من الخيانات التى أحيكت ودبرت على أيدى الماهرين فى العزف على أوتار التجسس

والتآمر على مصالح العالم غربيا كان أم شرقيا ، وهم دون مقدمات ودون لف ودوران مخابرات اسرائيل «الموساد» .

اعتذر عن ذنب لم يرتكبه للعالم العربي والغربي بسبب ما حدث من انكسار امام جيش المرتزقة الآتى من جميع الاقطار ، بكى المذيع أثناء إذاعة الخبر ، بكى ابى معه وبكت السماء وبكى كل ذى ضمير من البشر كالولد الصغير . ومن خلف المذياع البنى المستطيل اخذ ابى يناجى عبد الناصر ليبقى ، وألاّ يترك المكان فهو فى نظر ابى كان المخلص الأمين ، نظرت الى والدى أرثى لحاله وبكيت على شيخوخته التى عاشت انهزامه ، وضياع الوطن وذهاب عبد الناصر الذى هز قلبه وكيانه .

ابى يكلم عبد الناصر عبر المذياع والمسافات بعيدة جدا تلاشت امام بحر من الحب والوفاء ، فكل ما بين عبد الناصر واهل فلسطين والعالم العربى دون استثناء حب ونضال ووفاء .

ابى ظل باكياً مسترسلا مع المذياع يكلم عبد الناصر : يا عبد الناصر لا تتركنا .. من سينصرنا من العرب بعدك ، انت الوفى الامين على مصالح الامة العربية ، ونكسة تمر وبعدها وبإذن الله تعالى سنرفع الاعلام فوق سيناء والقدس والجولان ، من غير الجندى المصرى سيحمى الديار ؟ ، ومن قادر على هزيمة جيش المرتزقه غير جنود مصر الاحرار ؟ ، ارجع يا عبد الناصر ، فلك والله فى القلب محبة ولنا فيك وفى أمانتك وعزم اهل بلدك كل الثقة والمودة .

فلم نعرف يوما تحريرا كان للقدس الا كان قادما معززا بجند مصر المؤمنين مسيحيين ومسلمين واهل خير ومحبة ، صلاح الدين دخل القدس فاتحا من مصر ، اعزك الله وابقاك وابقى شعبك لنا وللأمة العربية ذخرا .

ابى يكلم من ؟ المذياع ؟ وهل سيسمع عبد الناصر هذا النداء وهل سيرجع يلبى فى اهلنا الدعاء ، يا عبد الناصر ليس لنا مكان من بعدك ، انت صوتنا انت عزوتنا انت يا من جمعتنا حول مائدتك فى جامعة الدول العربية تطالبنا بالاستمرار لمحو الطامعين والمحتلين لاراضينا؛ سمعناك فى اليمن ، فى لبنان ،

فى الجزائر وفى فلسطين ، سمعنا صوتك فى كوبا وفى دول اوروبا الشرقية والغربية يدوى يهز فى العالم الانسانية ويمحو العبودية ، يعيد الى البشر المطالبة بكرامتهم اينما وجدوا على وجه هذه الكرة الأرضية ، اهتزت الشوارع فى القدس العربية ضاربة بعرض الحائط أوامر العساكر الإسرائيليين ، مغلقة الشوارع رافعة حظر التجوال فى كل زاوية من زوايا بلدى الأبية ، اندفع ابناء بلدى لايعبأون بالبنادق والجنود ، مكسرين القوانين محطمين جميع القيود ، ينادون باكين صارخين : ارجع يا عبد الناصر ارجع يا مفخرة المسيحيين والمسلمين ، ارجع فوالله القدس تناديك ، والمآذن والكنائس لن تزهو وتترنم الا فيك .

عبد الناصر انت يا ابن الاحرار لا تتركنا وحدنا سجناء فى هذه الديار تحت ألعن استعمار .

فإذا كان البعض يقول إن عبد الناصر تنازل صوريا ، وأن الشعب خرج الى الشوارع مأمورا ، فأنا أقول لهم بأننا فى فلسطين كنا مأمورين أن نبقى فى البيوت ، وألا نخرج للشوارع ، وخرجنا الى الشوارع إيمانا منا بأن عبد الناصر لم يخن الأمانة ، وبأنه قدم الواجب ، وقدم لفلسطين جنود مصر الأبطال ، جنود مصر الأحرار الذين أدوا الواجب والأمانة .

خرجنا الى الشوارع نناديه بالبقاء ، ولم نخف من رشاشات إسرائيل ، لم نخف من الموت فى سبيل بقائه .

لقد عاش جمال فى بيوتنا قبل الحرب بسنين ، يعلن أن نرفع الرأس شامخين، علمنا أن العروبة عزة وكرامة ، وعلمنا أن الوحدة العربية هى طريق السلامة .

لا وألف لا لم يهرع الناس الى الشوارع مأمورين ، بل هرولوا إخلاصا ووفاء لواحد من أبطال مصر الخالدين .

إن مصر البلد العربى الذى قدم رجاله وماله وأرضه فى سبيل إنقاذ فلسطين، فلا يا عبدالناصر ، فنحن نعرف الوفاء ، ونعرف أنك وشعبك وهبتم أنفسكم لقضية عادلة ، وحميتم شعبها وأويتم لاجئيها ، وفتحتم لنا الأبواب منذ الأزل الى يومنا هذا ، تقولون لنا ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين .

عبد الناصر طبق الدرس الأول من دروس اللغة العربية فى الصفوف الابتدائية، وكلنا نعرف حكاية الأب العاقل الذى جمع أولاده من حوله وطلب منهم مجموعة من العصى ، وفرق بعضا من العصىّ على أولاده ، ليكسروها بسرعة ، وجمع العصى وحزمها حزمة محكمة ، وطلب من الأولاد مرة أخرى أن يكسروها ، فلم يستطيعوا كسرها ، فقال لهم يا أولادى : إنكم كهذه العصىّ يصعب كسرها حين تتحد .

عبد الناصر لم ينس درسه وعرف أن سياسة فرق تسد ، هى التى تطبخ لشعبنا العربى ، فأراد لنا الوحدة لنكون أقوياء ، أراد لنا الوحدة لنكون أشداء .

وهذه هى مصر دائما وأبدا ، أمًّا للحضارة ، أمًّا لأبطال التاريخ ، مدرسة فى الدين والسياسة .

وعاد عبد الناصر تحت إصرار شعبه ، عاد ليكون الزعيم الذى جمعنا عربا ومسلمين فى مؤتمرات ، محاولا أن يبنى الصفوف من جديد ، وأن يوقظ فى العالم الضمير .

رجال ونساء من بلادى !

أغلقت الجمعيات النسائية الخيرية ابوابها بأوامر من قبل السلطة الاسرائيلية تزيد وزرا جديدا على قلب الشعب الفلسطينى بعيدا كل البعد عن الجوانب الانسانية وعن مبادىء الاخلاق الدولية وعن الحقوق الانسانية التى حملتها اسرائيل معيارا جديدا مطالبة العالم بتعويضات انسانية لما الم بها من جرائم النازية ، اقف هنا امام الضمير العالمى ، اسأله لماذا تقفون مكتوفى الايدى امام عدالة القضية الفلسطينية؟ ، وكيف يُسكت على ما تقوم به نازية القرن الحادى والعشرين من اجرام فى حق اخواننا وابنائنا من الفلسطينيين .

اعود الى نساء بلادى الشرفاء الى امى وخالاتى وجاراتى وصديقات العائلة فمنهن من لم تزل تعيش الى يومنا هذا فى بيتها مرابطة ، ومنهن من انتقلت الى عالم الشهادة عالم الملائكة وارض لا تعرف الا العدل والسلام ، بعيدة كل البعد عن المعارك اللا انسانية وعن المجازر البشرية .

يجتمع النساء حول فنجان من القهوة يحاربن الصعاب يحاولن التغلب على جميع ما يقف فى طريق واجبهن من عقبات .

اخذت النساء يحضرن الشعارات ليرفعنها عاليا امام الضمير العالمى متحديات اسرائيل، متحديات بالحق والعدالة العالم اجمعين .

خرجت النساء من بيوتهن رافضات للاحتلال وللعروض العسكرية الاسرائيلية التى ستقام احتفالا بالانتصار على ارض ابائنا والاجداد .

اندفعن الى الشوارع يرفعن شعارات ترفض تهويد القدس العربية أو

إقامة عروض عسكرية على ارض الانبياء وبلاد السلام ومهبط الرسالات السماوية .

كانت أمي وبنات عمها ام سمير العلمي زوجة مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي ، نزهة نسيبة زوجة د . أنور نسيبة الذى اعتلى مناصب عالية فى ظل الحكومة الاردنية آثر البقاء مع أهل مبلده بعد سقوط فلسطين ليواسيهم فى مصابهم ، يقيم فى البلاد ليساعد اهل بلده على المرابطة فى القدس وبقى زعيما لنا يدافع فى كتاباته وفى لقاءاته مع كبار السياسيين عن حقنا فى ارضنا ، لقد حاولت اسرائيل أن تسيطر على شركة كهرباء القدس العربية ، فتصدى لها انور نسيبة مانعا اول نوع من التطبيع او السيطرة على الممتلكات الفلسطينية .

أنور نسيبة السفير الدائم الفلسطينى :

وهنا أريد ان اذكر نبذة صغيرة عن حياة المرحوم د . أنور نسيبة وعلى لسان زوجته نزهة نسيبة مؤسسة جمعية الشابات المسلمات فى القدس .

عمل مع اللجنة القومية التى كانت تناضل دفاعا عن فلسطين ، وكان القائد للفلسطينيين فى معركة القطمون كما كان هرنسوغ القائد على الجانب اليهودى . وفى منطقة النبى يعقوب فقد رجله ، مما اضطره للذهاب الى بيروت ليعالج ، وفى ذلك الزمان كانت عملية وضع رجل اصطناعية مكلفة مما اضطر عائلته لأن تضع جميع ما تمتلكه للبيع .

وعندما تألفت حكومة فلسطين كان سكرتير مجلس الوزراء وأقام مع المفتى الحاج أمين الحسينى وجماعته فى مصر عامى ٤٩ و ٥٠ .

وفى عام ١٩٥١ عاد الى فلسطين حيث تولى العديد من المناصب العالية فى الحكومة الأردنية وفى ظل جلالة المغفور له الملك الحسين المعظم ، شغل منصب وزير دفاع ، ووزير تربية وتعليم ووزير إنشاء وتعمير ، كما عمل محافظا للقدس ، وكان آخر منصب له سفير الأردن فى انجلترا وهولندا ، وعندما سقطت القدس كان موجودا على أرضها .

وفى رسالة استقالته قال السيد نسيبة ، لقد وجدت بأن البقاء فى لندن لا يفيد قضيتى لذا فضلت الرجوع الى القدس ، طوبة على طوبة علها تنفع قضيتنا .

د . أمين الخطيب ابن القدس البار :

كما قام د . أمين الخطيب ابن القدس البار بتقديم العلاج مجانا لأبناء فلسطين ، الذين يطرقون باب بيته فى نصف الليل وفى اوائل النهار مقدما علمه خدمة للإنسانية ، وقدم العلاج لكل من كان محتاجا وشقيا . وكم أسعف هذا المناضل الكبير الكثير من جرحى فلسطين من عيار نارى طائش أو ضربة سكين من جندى اسرائيلى لفلسطينى كان يرشق الحجر على العدو الغادر.

ومازال الدكتور أمين الخطيب يؤدى الرسالة فى الطب وفى الكلمة ويعمل فى الكثير من الجمعيات ويؤدى لفلسطين ولشعبه الأمانة .

والدكتور أمين محمد امين الخطيب من مواليد القدس الشريف عام ١٩٢٦ من ابوين محافظين ، ومتزوج ولديه ولدين وثلاث بنات .. سمير ، خالد ، مها ، رنا ، جمانه .

انهى التعليم فى المدرسة البكرية ثم الثانوية فى المدرسة الرشيدية فى القدس والتحق بالجامعة الامريكية فى بيروت وتخرج عام ١٩٤٨ وحصل على شهادة بكالوريوس علوم ثم التحق بكلية الطب فى الجامعة السورية (دمشق) حيث تخرج عام ١٩٥٤ بشهادة دكتوراه فى الطب .

- أسس جمعية المقاصد الخيرية فى القدس مع الدكتور صبحى غوشه وغيره من الزملاء.
- أحد مؤسسى عيادات جمعية المقاصد فى القدس والرام وابو ديس ، وصور باهر .
- شارك فى تأسيس جمعية اصدقاء الريف مع المرحوم عارف العارف .
- شارك فى تأسيس مسرح الحكواتى فى القدس .
- عضو الهيئة الاسلامية العليا فى القدس .

- نائب رئيس جمعية بيت الرحمة بالاسلامية فى القدس .
- عضو فى جمعية الصحة النفسية فى بيت لحم .
- رئيس ومؤسس نادى الخريجين العرب فى القدس .
- شارك فى عدة مؤتمرات اجتماعية محلية وعربية وعالمية .
- منسق طاقم الشئون الاجتماعية فى المفاوضات التى اعدت للمفاوضات مع اسرائيل .

وضم الشارع الفلسطينى الكثير من نسائه الابرار ومن عائلات القدس الشرفاء الاحرار من عائلة العلمى ، والجاعونى ، والدجانى ، العمد ، القطب ، عويضة الخالدى ، النشاشيبى ، نسيبة ، الحسينى ، قليبو ، هندية ، رصاص ، جودة ، الحلبى ، صافية ، المغربى ، البديرى ، أبو السعود ، الامام ، الشهابى ، سحار ، درويش ، خورى ، جرجوعى ، سلمان ، زلاطيمو ، والكثير الكثير من عائلات القدس لا أستطيع حصرها على هذه الصفحات .

الانتفاضة الفلسطينية لم تبدأ عام ٨٧ كما يعتقد البعض ، لقد رفض الشعب الفلسطينى الاحتلال فقاومه بشتى الوسائل من اللافتات واللائحات والمسيرات الى ان جاءت انتفاضة ابنائنا الشرفاء ، أولاد الحجارة الذين ولدوا فى عهد الاحتلال ، وعلى اياديهم كتبت أولى بشائر السلام .

أمى أول من علمنى العمل بالجمعيات والقيام بالعديد من الخدمات والمساعدات، كانت عضوة فعالة فى عدة جمعيات خيرية : الهلال الاحمر ، السيدات العربيات ، واخيرا جمعية الشابات المسلمات .

كان والدى نعم الاب والزوج يقف وراء أمى مساندا لها فى كل اعمالها ، لم يقف يوما حائلا بينها وبين العمل فى الجمعيات ، ولم يخيرها بين نفسه وبين العمل فى سبيل فلسطين وعلى رأسها القدس فى الجهاد ، كان يشجعها ويثنى دائما على عملها كنا جميعا نتباهى بما تقوم أمى به من اعمال ونساعدها فى بيع التذاكر لتجار المدينة للحضور الى العشاء الخيرى الذى تقيمه الجمعيات من أجل مساعدة العائلات المستورة التى تضررت كثيرا بسبب النكسة .

أما الطبيب راشيد النشاشيبى صاحب ثلاثة فنادق فى القدس يقدم قاعة فندقه الكبير مجانا للجمعيات مقدما أيضا الطعام على حسابه الخاص ليصبح الدخل صافيا للجمعية أما زوجته أم فهمى من عائلة الخطيب كانت تقدم عملها بجانب فندق زوجها .

حاولت الجمعيات خلق فرص عمل من تطويز وغزل الصوف ،والتدريب على الآلة الكاتبة وغيرها من الدورات الحقيقية للحفاظ على بنات العائلات المستورة، تساعدهن فى توفير بعض المال وتحافظ عليهن حتى يأتى ابن الحلال .

نـــور العلـــم

كما قامت الجمعيات بدورها العظيم كانت هناك نساء يحاربن لبناء صرح عال من العلم والتنوير .

رحم الله رحمة واسعة سيدة القدس الأولى المربية الفاضلة هند الحسينى ، التى بدأت مشوارها الطويل بدار الطفل العربى لتحتضن الايتام وتقدم لهم نور العلم آخذة بأيديهم من المهد تحميهم من غدر الإنسان ، تقدم الحب والحنان وترعاهم بأمانة ليس لها على الارض مثال.

لم تقف الانسانة العظيمة هند الحسينى عند باب الحضانة والثانوية بل كانت لها اليد الخضراء فى بناء اكبر صرح علمى فى القدس العربية وهى كلية الآداب للبنات عام ١٩٨٠: ، لقد تم بناء هذه الكلية بدعم كبير من المانيا الغربية وبعض الدول الاوروبية التى كانت تربطها بهم صداقات قوية ، ان كلية البنات التى اصبحت جزءا مهما من جامعة القدس اليوم تتوسط المدينة العريقة ويدرس فى كلياتها الآن الاولاد والبنات على السواء .

لقد قامت الأردن مشكورة تدعم صمودنا على الأرض بأن حافظت على إمداد العاملين فى الوزارات التابعة للمملكة برواتبهم رغم توقف العمل ، وذلك اسهام منها لابقاء المواطنين على أرضهم حتى لا يضطروا الى الهجرة خارج البلاد باحثين عن المال وعن لقمة الزاد .

أمرت السلطات الاسرائيلية بتهويد المناهج العربية التى كانت تابعة لوزارة التربية والتعليم الاردنية ، واعلنت ان حدود القدس تنتهى فى اوائل قرية بيت

حانينا ، أضرب المعلمون والمعلمات رافضين ان يدرسوا المناهج الاسرائيلية فى القدس العربية ، اقاموا فى بيوتهم مضربين عن التعليم لكنهم كانوا يتسلمون رواتبهم .

اما مديرة المدرسة المأمونية السيدة والمربية الفاضلة عالية نسيبة رفضت ان تعكف خلف جدران البيوت تبكى على العلم وعلى من يدرسون ، فنزلت الى الاردن وقابلت وزير التربية والتعليم تطلب منه ان يساندها فى دورها النبيل ، طلبت من الوزارة الاردنية ان تستأجر منزلا كبيرا على حدود القدس الشرقية ، لتتيح لبنات القدس العربية ان يتعلمن مناهج الثانوية باللغة العربية حتى يستطعن الالتحاق بجامعات الاخوة العرب فى لبنان وسوريا والعراق ومصر وغيرها من الدول العربية والغربية . لقد كانت المربية الاولى فى القدس العربية التى رفضت التطبيع مع الدولة الإسرائيلية فى تدريس طالبتنا بلغة المحتل ، وهى اللغة العبرية. ان السيدة عالية نسيبة أتاحت لبنات القدس - بمساعدة الأردن - وفى أقرب قطعة على أوائل حدود ما سمته إسرائيل بالضفة الغربية إقامة مدرسة جديدة اسمتها مدرسة النظامية ، لقد ساعدت هذه المربية الفاضلة فى الحفاظ على هوية ابنائنا العربية والمقدسية ، مقدمة حياتها فى سبيل رفع راية العلم ، تنير طريق الفتيات وتقدم لهن جميع التسهيلات والخدمات للالتحاق بهذه المدرسة التى لم يذكر احد مدى اهميتها فى خلق اجيال على مدى ثلاثين عاما من الزمن تخرج الفوج بعد الفوج ، وترتقى ببناتها الى صفوف المتفوقات فى شهادات الثانوية ، حافظت السيدة عالية نسيبة على بنات القدس العربية بأن علمتهم جنبا الى جنب العادات والتقاليد متمسكات بتربيتهن وأوطانهن وتعليمهن الذى من خلاله اخترقن جميع الحدود العربية والعالمية ، مستمرات فى اداء الواجب حيثما وجدن ان كان فى داخل الاوطان او خارجها يحملن الدين عقيدة ، والوطن رسالة، والعلم نور ، والسلام والاسلام طريقا الى الرقى والحضارة .

هذه هى سيدة القدس الاولى الصامتة التى أدت واجبها ومازالت تؤديه لخدمة

ابناء الوطن وتطور العلم مع تطور الزمن ، أدت الأمانة دون انتماء الى حزب ايمانا بجذورها وإخلاصا لأهل بلدها وديارها . أيتها المربية الفاضلة مهما تكلمنا عنك فقليلة هى الكلمات ، اتقدم سيدتى نيابة عنى وعن اهل بلدى لك بالشكر والامتنان ونسأل الله ان يديمك لنا ذخرا للاوطان، تقومين باداء الرسالة خير قيام وتبدئين بأولى رسائل الاسلام ألا وهى «اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » .

اما ابى فمكث صامتا بعد النكسة رافضا المرور بالحدود الإسرائيلية لا يزور الا اخاه الكبير فى غزة ، رافضا المرور بجيوش الاحتلال ، رافضا الركوع لهؤلاء الأنذال .

وهناك الكثير والكثير من نساء ورجال فى بلادى كانت لهم اليد الخضراء فى الحفاظ على احياء الهوية العربية الفلسطينية ، والمرابطين على ارض القدس الشريف يحمون ترابه وينيرون سماءه بالعلم ، ويقذفون بالحجر والكلمة كل من يتعدى على حرمة بيوت الله فى كنائسه ومساجده ، وفى جباله مازال اهلى عن الشرف يدافعون وفى سبيل رفع كلمة الحق والعدل يقاومون .

جدتى أم محمد

بكت جدتى ام محمد على فراق الاولاد، فمنهم من كان يدرس خارج البلاد، ومنهم من كان يعول عائلته يسعى فى مشارق الارض ومغاربها فى الكويت او الحجاز او بغداد.

أحصت اسرائيل الذين وجدوا على الأرض بعد نكسة حزيران من عام ١٩٦٧، واعطتهم اقامة على ارضهم مدتها لا تتعدى الخروج خارج الارض اكثر من ثلاث سنين، ومن لا يوجد فى الأرض خلال هذه المدة المحددة يفقد الإقامة على أرضه ويصبح مشردا دون هوية، يصبح اسمه على حدود السلطة الإسرائيلية نسيا منسيا.

لم يختر الفلسطينيون الرحيل عن البلاد، ولكن أجبرهم جبروت إسرائيل على البعاد، وقوانين واساليب فرقت بين الاهل والاحباء أرغموا فيها على تركها واقاموا على الشاطئ الآخر من أرضها.

العدالة العالمية تأمرنا بالمعروف ، وتأمر حكامنا بالديمقراطية ، وتنهى عن تعذيب الانسان والبشرية ، وتتفانى فى دروس عن الحقوق الانسانية، وتبقى هذه الدول صاحبة القرار والمصير، وتبقى جدتى وحدها تبكى فراق أولادها كل يوم مكتئبة فى السرير.

هذه يا عالم الحكاية، ابناء فلسطين يعيشون فى المنفى ولهم فى كل بلد الف قصة ورواية من الهم والتشريد والمعاناة ، تضع الحواجز أمام الذين أقاموا على الأرض آلاف السنين، وترفع الحواجز أمام يهود روسيا وبولندا وألمانيا وامريكا

ويهود العالم بأسره أجمعين، يمنحوا جوازات السفر وإقامة بغير حق على ارض الوطن، رفعت الحواجز امام هؤلاء ليدخلوا إلى ارضنا محتلين مكان خالنا وعمنا، ويحرمونا من لقاء الاهل ويحرموا الحفيد من لقاء الجد، ويحرموا الجنين من ان ينادى كغيره من اطفال العالم تاتا او ان ينادى عم اسماعيل او ان ينعم فى حضن سيده ابراهيم، أرفع صوتى مره أخرى ومرات إلى هيئة الأمم المتحدة، أرفع صوتى عاليا علَّ السماء تستجيب والارض بأهلها تضئ (بسم الله الرحمن الرحيم «ان الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» صدق الله العظيم)، اصرخ الما وحزنا على اهلى، واطلب من الضمير ان يحكم بين هذا البشر . اين أنتم من الحقوق الإنسانية؟ ، كل يوم يدفن على أرض بلدى شباب وأولاد أحياء فى معسكرات الصهيونية، أين العدالة وهى أساس الملك فى عالم الحضارة الغربية؟ ، أين أنتم من الرحمة أمام سياط من لهيب تسلخ أجساد أهلى بأياد ظالمة نسيت جبروت النازية؟ أين أنتم يا أهل العالم والتكنولوجيا ويا من اخترعتم القنابل الذرية؟ ، ليتكم اخترعتم ما فيه شفاء للأطماع البشرية.

إن الأمانة من السماء تسألكم ان تعيدوا النظر فى ملفات ماضيكم، اين اليهودى صاحب الكتاب صاحب الضمير؟، كيف سيلقى ربه وقد وقع أسيرا فى شر اعماله؟

هلموا يا أبناء موسى، لاتقبلوا على أنفسكم أن يلوث اسمكم، ليكن صوت الله والضمير أعلى من صوت عرش على الأرض عمره قصير.

الحق سيعود لأهله وسيحل نور الله ، نور الحق على القدس ليفرشها على فلسطين وعلى جميع البلاد، قادما يومه موفيا وعده بأن يعم السلام سماءه وأرضه.

خالى محمد

تعودت أنا وأخى أن نذهب إلى دور السينما برفقة خالنا محمد الذى كان يكبرنا ببعض سنين . خالى محمد تجمعنا به اجمل الذكريات هو وصديقه المرحوم نزيه مروان العارف ، الذى مات فى عام ٦٤. فارقنا نزيه وهو ما يزال على الأرض طاهرا كالملاك بمرض عضال احتار معه أشهر الأطباء ؛ كنا نجمع الطوابع معا ، يعلمنا خالى وصديقه العزيز ترتيب الطوابع حسب السنين جامعين إياها تحت اسم كل دولة عربية وغربية . بعد عام ٦٧ أصبح خالى بعيدا عنا ، يدرس فى جامعة بيروت العربية ، محرم عليه دخول القدس الأبية . وأصبح نزيه يطل علينا من السماء يبكى على القدس حتى بعد الممات . وزاد حزنى كثيرا حينما أنجبت فى الغربة مالى وإيهاب لأننى علمت أنهما سيكونان وحيدان بدون خالة أو خال يصطحبانهما إلى السينما وإلى المتاحف والمكاتب فى أرض الأوطان.

غزة وعمى عبدالرزاق

فى عشية وضحاها أزيل الحاجز الذى كان يشطر قلب القدس إلى قسمين، سقط حائط مندلبوم الذى جزأً القدس العربية إلى جزءين، سقط المارد الجبار الذى كان فى يوم من الايام الممر السحرى للإخوة المسيحيين، يفتح بوابته فى أيام العيد المجيد سامحا لهم بزيارة الأهل الذين أصبحوا يسكنون بعيدا.

أصبحت الأبواب أمامنا مفتوحة والطرقات إلى أهلنا مسموحة، أصبح فى مقدورنا ان نسافر إلى غزة، حيث يسكن عمى عبد الرزاق قليبو وعائلته منذ سنين، بسبب منصبه الذى كان آخر محطاته هذا البلد الذى قاوم الانجليز والفرنسيين عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين.

عمى عبد الرزاق أكبر إخوته يكبر أبى بخمسة عشر عاما، وكان له مقام الأب عند والدى، فجدى توفى بعد ولادة أبى بأشهر قليلة، فتولى أخوه الكبير هذه المسئولية بحب وإخلاص فأطاعه أبى واحبه اكثر من نفسه..، وظل يبكى فراقه ولقاءه كلما ذهبنا إلى غزة جهرة وخفية لايعبأ بأقاويل الناس.

لعمى عبد الرزاق فى قلب والدى محبة خاصة، الأخ الكبير، والاب الحنون الذى اخذ بيده طفلا وكان له المعلم الفاضل الذى لم تكسر له كلمة وخصوصا ان عمى كان من أوائل من درسوا القانون فى استانبول ، ووصل إلى أعلى مناصب الحكم فى العهد العثمانى والبريطانى، هو وعارف العارف المؤرخ الكبير والسيد عطا الله منطوره الذين انفردوا فى زمانهم بلواء العلم والمعرفة.

السفر إلى غزة قبل سقوط البقية الباقية من فلسطين كان صعبا، وكان علينا

ان نطير من مطار قلنديا متوسطا الطريق ما بين القدس ورام الله إلى مصر الشقيقة، ومن مطار القاهرة نستأجر السيارة مارين بالعريش ورفح حتى نصل إلى غزة، وكانت آخر زيارة لنا إلى عمى عبد الرزاق قبل النكسة عام ١٩٦٤، كنا صغارا ولم نكن على قدر من العلم وفير فى حكاية تقسيم فلسطين.

فرح ابى كثيرا لفتح الحدود، واخذ بالبيت يلف ويدور، ساعة يبكى فرحا لهذا اللقاء، وتارة يبكى حزنا على ما آل اليه مصيرنا وتحت أى ظروف سيتم اللقاء .

سافرنا إلى غزة وكلنا شوق إلى لقاء الأهل والأحباء، اما ابى فقد سافر وقلبه وعقله سابقا المسافات يحطه على كتف اخيه قبل وصولنا بساعات.

أبى عقله هنا وهناك ، فى الطريق إلى غزة روى أبى لنا حكاية من حكايته مع أخيه عبد الرزاق أيام شبابه، قال أبى كنت فى الخامسة عشرة من عمرى عام ١٩١٠ أقف أمام المرآة أتغنى بأجمل الألحان، أصفف شعرى مرة للوراء وتارة أصففه ليأخذ شكلا جميلا، قد أعجب به البنات.

وإذا من خلفى بزئير يهب ويصيح، ما هذه الخلاعة ، والتفت عبد الرزاق إلى جدتى آمرا إياها بأن يقص أخوه حسين الصغير شعره على الصفر، حتى يصبح رجلا متماسكا غير خليع.

أخذت جدتى ام عبد الرزاق تتوسله قائلة بأن حسين مازال صغيرا ترجوه ألا يرمى على أخيه هذا اليمين.

صاح عبد الرزاق قائلا: هنا فى البيت لا يوجد حريم، على الرجال ألا يقفوا أمام المرآة يصففون شعورهم ويضيعون وقتا ثمينا .

أخذ أبى حسين يترجى أخاه الكبير، بأن يسامحه هذه المرة، وانه لن يعيد الكرة، وإذا أعادها له الحق بأن يقرر فى هذا الشعر المصير.

ضحك أبى بعد ان روى الرواية ، قال كان الزمان غير هذا الزمان، حيث يربى الاولاد شعرهم الطويل ويقولون موضة القرن العشرين .

وصلنا غزة هاشم متلهفين، ووجدنا العائلة فى الشرفات منتظرين، الزيارة

الأولى التى جمعت جميع الأهل من القدس، عمى حسن وأبناءه اجمعين ، وكل من وجد فى ذلك الوقت فى قدسنا العظيم.

وقفت السيارات أمام منزل عمى عبد الرزاق ونزل الأهل من البيت إلى بوابة الفيللا راكضين، والركب من السيارات يتسابقون لحضن امرأة العم وبنات العم، أما اولاد العم فمنهم من كان فى بلاد الغربة مشردا عن الاهل والاصدقاء مبعدا .

التقينا بأبناء عمتنا ابو هاشم وابو عصام وابو الوليد العلمى، كلهم فرحوا لقدومنا ؛ فخالهم ابو على - أى والدى - كان الذى رباهم بعد ان مات أبوهم ورعى إخوتهم وحصنهم جميعهم بسلاح العلم يحميهم من غدر السنين.

أما ابى فأسرع وفى لمح البصر، كمن له جناحا عصافير إلى أخيه الكبير يحضنه ويقبله من أعلى الجبين، ويلثم يده متألما لفراقه كل هذه السنين.

انهارت الدموع من عيون أبى وعمى وانضم الجميع حولهم حائرين، لايريدون ان يفتحوا ما ألم بفلسطين ، بالنظرات يتبادلون الكلمات التى كلها حزن على ضياعها مذهولين.

حاول الجميع ان تكون فرحة اللقاء أقوى من الحزن على فلسطين، لكن هيهات هيهات فلسطين مسيح جريح ينزف دما ونحن أمام هذا الجرح نقف عاجزين.

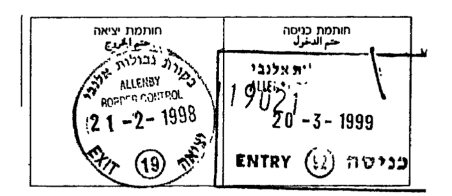
اعتصم عمى فى بيته واخذ ميثاقا على نفسه ألا يغادر باب منزله إلا محمولا إلى قبره حتى لا يرى الجنود الإسرائيليين لغزة الحبيبة محتلين، كانت الوصية ألا يدفن بالقدس، بل يدفن فى غزه هاشم البلد الذى عاش فيه ينعم برفقة أهله، وبصحبة ناسه المخلصين اراد ان يرد الوفاء وان يرد الجميل بأن يدفن فى قبورهم، وان تكون آخرته كآخرتهم ، لقد كرمت غزة واهلها عمى طول السنين، فما ارتاح إلا أن يدفن فىَ ترابها مع أصحابه الذين سبقوه والذين له فيما بعد لاحقين.

أول لقاء لى مع د. حيدر عبد الشافى كان فى بيت عمى، لقد كان د. حيدر

صديقا وفيا يطل على عمى كل صباح، يحتسى بصحبته فنجان القهوة ويطمئن على صحته ويطمئنه على حال غزة ورفح واهلها الملاح، وفى نفس المكان التقيت بصديقة ابنة عمى ليلى قلبو المفتشة فى وكالة الغوث ، وبسيدة عظيمة تدعى يسرا البربرى، مناضلة فى سبيل رفع كلمة الحق وراية العدل، والمسئولة عن اتحاد المرأة الفلسطينية فى غزة، تديره بحب الام لبناتها، تسمع لمصابهن ، وتمد لهن النصيحة وتخفف عن قلوبهن ثمن الهزيمة، من اوائل نساء فلسطين اللاتى أكملن دراستهن الجامعية فى القاهرة ، وهى من أوائل النساء اللاتى قدن حركة المرأه السياسية، التقت بالعديد من القادة العرب قبل حرب ١٩٦٧ ويضم البوم صورها صورا لها تمثل فيها اتحاد المرأه الفلسطينية مع الزعيم الراحل عبد الناصر .

لنا مع غزة كثير من الحكايات، ولنا فيها كثير من الأصدقاء والصديقات.

أناس شرفاء دافعوا عن الأرض والوطن وحافظوا على الود والوفاء ، يحميهم ربهم ويديمهم فخرا وعزا لنا فى زمن أصبح فيه الشرفاء فى عيون العالم ضعفاء.



מדינת ישראל-משרד הפנים
دولة اسرائيل-وزارة الداخلية

היתר יציאה تصريح خروج

לפי תקנות שעת חירום (יציאה לחוץ לארץ)
حسب بنود انظمة الطوارئ (الخروج لخارج البلاد)

אשרת חוזר تأشيرة عودة

לפי תקנות הכניסה לישראל תשל"ז 1974
حسب بنود انظمة الدخول لاسرائيل لعام ١٩٧٤

השם המלא בעברית / الاسم الكامل بالعبرية: סו׳אד וחסיין עלי קליבר

הנפה / القضاء: ירושלים

מס׳ נלווים / عدد المرافقين: م

מס׳ ת.זהות / رقم الهوية: 080435381

מס׳ משאית / رقم الشاحنة:

חותמת الختم

מדינת ישראל מנהל אוכלוסין משרד הפנים

הערות: 1 הכרטיס ימולא בעברית ובלועזית
ملاحظات تعبئة البطاقة باللغتين العبرية والانجليزية

2. רק כרטיס מקורי זה משמש אותך בכניסתך.
هذه البطاقة الاصلية هي الوثيقة الوحيدة للدخول الى البلاد

نقطة التفتيش إيريز

فى طريق العودة إلى القدس، مررنا ببيارتنا وبيارة اعمامى فى بيت حنون، وحملنا البرتقال والليمون، ولنأكل من ثمر مالنا، ونفرق فى القدس على الجيران والأحباب من أصدقائنا.

ووقفنا لنقطة التفتيش، وطلب منا الجنود ان نترجل من السيارة، فعلنا ذلك مرغمين.

طلب منا الجندى الهويات، واخذ ينظر إلى وجوهنا يتأمل الهوية، ويدقق ما بين الصورة والشخصية.

وأمرنا الجندى الآخر مصوبا البندقية نحونا ان نفرغ السيارة من البرتقال والليمون طار صوابنا وتعكر مزاجنا كيف يطلب منا ان نترك برتقالنا وليموننا لهم، كيف يجرؤ ان يسلبنا أبسط حقوقنا.

وبدون وعى أخذنا أنا وأخى نرمى البرتقال والليمون ومسافات بعيدة، حتى لا يستفيدوا منه، وأخذ إخوتى الصغار سيرين وعمر يدوسون على البرتقال والليمون، غضبا وثورة على هذا القانون. صاح وغضب الجندى الاسرائيلى، وصرخ قائلا: هذا اسمه تخريب، قف أنت وهو عن هذا العمل، ورددت مسرعة: أيسمون هذا تخريب!! اذا كان هذا تخريبا فماذا تسمى اعمالهم؟؟ تدميرا!!

اغتصبوا أرضنا وسكنوا بيوتنا وأكلوا خيرنا، وحرمونا من كل ما هو حقنا، والآن يقف هذا الجندى أمامنا يدعى أنه هو رسول الانسانية.

أريد يا إسرائيل ان تفسروا لى أعمالكم، أريد يا بنى إسرائيل ان أفهم أهدافكم؟؟ أريد يا هيئة الأمم منك الجواب، أريد منكم معرفة الحق، وليس كيسا من الأرز وخيمة فى العراء.

وأطل شتاء آخر

وأطل شتاء آخر، لم يسمح لنساء الجمعيات أن يقمن ، كالعادة، بحملة معونة الشتاء السنوية، فقررت أنا وصديقات لى من المدرسة عبير نسيبة وخولة كالونى أن ننشئ جمعية صغيرة باسم المدرسة، وبدأنا نذهب من دكان إلى دكان ، نجمع النقود ، نسجل فى الدفاتر اسم كل متبرع والمبلغ الذى تبرع به . وعلمت مساعدة وسكرتيرة المديره أنجيل بالقصة، استدعتنا إلى مكتبها . صاحت قائلة: من صاحبة هذه الفكرة؟ .

– أى فكرة.

– جمع النقود.

تقدمت وقلت لها إنى صاحبة هذه الفكرة.

– ألم تفكرى بأن يتهمك أحد بالسرقة؟

– لا . استأذنت كى أذهب إلى الصف لأجلب لها الكتاب الذى نسجل فيه جميع التبرعات، ونظرت أنجيل إلينا نظرة إعجاب تخفيها بصوت من الجدية.

– لماذا تقومون بهذا العمل؟

– وجدنا أن إسرائيل منعت الجمعيات من القيام هذا العام بهذه المهمة، فأخذنا على عاتقنا أن نقوم بها، وكان هناك كثير من الأرامل اللاتى قطعت عنهن الإعانات التى كان يرسلها إليهن أولادهن المغتربين من جميع البلاد.

الأولاد كانوا يعولون أمهاتهم الأرامل بإرسال النقود الشهرية لهن، وبعد

الاحتلال انقطعت الصلة، فلم يعد هناك مواصلات ولا بريد ولا هواتف ، وأصبحت هؤلاء النساء بلا عائل.

نظرت إلينا وأخذت قلما وورقة وكتبت، فإذا بها تكتب لنا خطابا يساعدنا على جمع التبرعات ينص على أننا نمثل عن مدرسة شميدت.

كان أبى معجبا جدا بما أقوم به من نشاط تلقائى وإحساس بالغير، وكان أول المتبرعين لى فى هذه الحملة.

وبعد أن جمعنا النقود ، دخلت وصديقاتى بيتا بيتا نفتش عن العائلات المستورة، وذهلنا لعدد النساء الهائل اللاتى يقمن وحدهن دون زوج أو ولد.

لقد فرق العدو شملنا، وحرمنا من رؤية أهلنا، ويصدر فى الصحف اليومية وفى التليفزيونات العالمية، أننا مخربين نقتل هؤلاء الصهاينة المساكين.

بكينا أنا وصديقاتى على حال هؤلاء النساء . إن فقدان المال يعوض، ولكن أن تفقد الأم ولدها، والزوجة زوجها، وأن يحرم الإنسان من رؤية ابنه وأخيه وأبيه . إنها لجريمة فى حق الإنسانية، إنها مذبحة للعقول البشرية، ولا ينفع فى علاج هؤلاء أكبر المتخصصين فى الأمراض الإنسانية.

فى أزقة القدس القديمة، وفى شوارع القدس العتيقة كنوز من الأسرار، بيوت تغلفها كآبة الفراق وبيوت يغلفها الحزن، على من استشهد ومات، واسوار أمجاد تقف شامخة تتحدى الرومان والأتراك، وأهلها حراس يحمون وطن الأنبياء.

للقدس رائحة المسك والعنبر، تخرج من كل كنيسة ومسجد ومنبر، للقدس مرافق ودروب مشاها المسيح، مصلوبا على خشب من شجر الزيتوَن الأخضر الأخضر، للقدس مع كل غروب سجود ما بين السماء والأرض تتطهر، للقدس شروق فيه الملائكة تحوط المكان وأهل الإحسان، ينشدون الله أكبر.

القدس يا من ترعرت على أرضها، أجرى مرحا، آكل الكنافة عند جعفر، وآكل الفطائر عند زلاطيمو، وأضئ الشموع فى كنيسة القيامة، وفى الأقصى والحرم أركع .

قدس القداسة ماذا أقول لأولادى، وكيف معهم أعيد الذكريات، وفى مدخل باب الزاهرة وباب الخليل وبيت العامود، وعلى كل باب من أبوابك جنود لحرمتك مدنسين.

كيف أروى الحكاية لأولادى عن عمر عشناه بين حارة النصارة وحارة السعدية وعند مسجد عمر، كنت أحلم بأن أمر بكم بالأسواق العربية، لأعلمكم عن العادات المقدسية الفلسطينية.

قتلوا فينا الأحلام، قتلوا فينا الذكريات ولكن لن يقتلوا فينا أبدا الإيمان.

فلسطينيون اسمهم فدائيون

وجاءت الثورة الفلسطينية تنطلق من كل مدن الضفة الغربية، ومن أرض الناصرة وحطين، ومن أنحاء العالم أجمع ، يجمعنا شعار واحد، يجمعنا القائد أبو عمار رمز الحرب والسلام.

حاولنا أن نكتب الخطابات إلى هيئة الأمم، إلى عالم الحضارات، حاولنا أن نتكلم فأخرسونا بالمدفعية، حاولنا أن نكتب، فقتلوا فينا الدماغ وأصحاب الحقائق والمفكرين فى فتح والجبهة الشعبية، قتلوك يا غسان كنفانى معتقدين أنهم قتلوا الفكر فينا، حبسوك يا محمود درويش، ليحبسوا الدماء فى عروقنا، فأثبتنا لهم بأن دماغنا عربية عربية، معجونة بدماء طارق وخالد وعمر وصلاح الدين الأبية، قتلوك يا أبا جهاد، ليقتلوا النضال ويقتلوا المسار، فجاءت زوجتك وأولادك وأبناء شعبك، ليكملوا المشوار. فكلما قتلوا فينا بطلا، أنجبت نساؤنا الأبطال . وكلما قتلوا فكرا، أنجبنا عباقرة الزمان، ليكتبوا الحقائق بحبر لايمحوه الطوفان.

فرجالنا جبال شاهقة يشتعل داخلها ألف بركان وبركان ، ونساؤنا يعصفن بكل متغطرس جبار، وأولادنا يا إسرائيل لا يخافون الرشاشات ولا يخافون إلا من الواحد القهار.

أدار عالم الزعامة والحضارة ظهره لمعرفة الحقيقة أمام شلالات من القنابل تغرق جنوب لبنان، وأهلها ما بين جريح وقتيل، وأطفال يدفنون فى أحضان أمهاتهم وشباب يروون الأرض بدمائهم.

سرقوا منا الأرض والديار، ولاحقونا يقتلون رجالنا فى عمان وقبرص وأثينا وألمانيا ولبنان وفى كل مكان، ليبيدونا وليمحونا من خريطة الوجود . ليغسلوا دماغ العالم بأسطورة القرن العشرين، أن فلسطين هى بلد موسى من آلاف السنين ، مزورين التاريخ ، فموسى لم يدخل القدس ولم يدخل فلسطين ومات وهو حزين. أما هيكل سليمان فبنى بعد موسى بمئات السنين.

طلب اليهود من البابا أن يبرئهم من دم المسيح، متعللين بأن اليهود الذين قتلوا المسيح ليس لهم علاقة بيهود اليوم. فأسال الإسرائيليين ما علاقة يهود اليوم بأرض فلسطين؟

ليسمع العالم صوتنا، قام فدائيون من الفلسطينيين والعرب والمسلمين، وكثير ممن يؤمنون بالقضية الفلسطينية، بضرب أماكن استراتيجية للعدو وضرب المعسكرات، وقامت ليلى خالد بخطف الطائرة المدنية، وقاموا بعملية ميونخ التى ارتج لها العالم فى كل مكان ؛ وبدأ الناس يسألون لماذا هذا العدوان؟

أسمعنا العالم صوتنا وشغل بنا قليلا ، ولكن صوت الإعلام الصهيونى أقوى وأعلى من كل الأصوات، وبيعت فلسطين فى سوق المزاد الإعلامى، فدفع الصهيونى ما لم يكن قادرا على فهم أهميته التاجر العربى الرأسمالى.

فخسرنا القضية لأن هناك إعلاما يتاجر كالغازية وضمائر بيعت فى سوق الصهيونية ، ولكننا واصلنا النضال ولم نعرف يوما فى حياتنا الاستقرار.

سألنا العالم عن هذا العدوان ، ولم يسأل يوما من الأيام لماذا تقصف إسرائيل أبناءنا فى المخابئ وفى الخيام فى داخل فلسطين وفى جنوب لبنان؟؟.

احتلال الدار

فى يوم من ايام الصيف الهادئة، أراد أبى أن يفاجئنا بمفاجأة جميلة. استعدوا يا أولاد، سنذهب لنزور أحد بيوتنا الجميلة، وأخذنا نسرع لغسل أيادينا ووجوهنا وارتداء ملابسنا.

وركبنا السيارة تمر بشارع باب الساهرة، متوجهين إلى شارع يافا المكتظ بالمارة، وبعدها دخلنا من معبر إلى معبر، وقد تغيرت المعالم أمام والدى ولكنه بين الحين والآخر كان يقول هذه دار الخالدى، وهذه دار بيك الترجمان، وقالت أمى مقاطعة هذه دار خالتى، وهنا كان يسكن خالى عبد الرءوف نسيبة.

ووصلنا إلى بيت والدى، وكان مكونا من طابقين، فيللا جميلة أجمل من البيت الذى نسكنه فى القدس الشرقية.

دمعت عينا والدى عندما شاهد البيت، وترجل بسرعة البرق متجها نحو المدخل ومشينا بخطى ثابتة خلفه نتأمل جمال هذا المكان، وإذا برجل أشقر أزرق العينين يطل علينا من شرفة المنزل محاولا منعنا من الدخول ، وحاولنا التكلم معه بالإنجليزية. فطردنا قائلا إن هذا البيت بيته، وأنه ليس لنا الحق أن نضع قدما واحدة حتى فى البستان.

مد أبى يده إلى جيبه وأخرج منه مايثبت ملكيته للبيت ، ناوله مفتاح البيت قائلا : إن هذا البيت بيتى، انظر إنه مسجل باسمى، أريد أن يرى أولادى أملاكنا، أريد لأولادى أن يعرفوا الحقيقة بأننا لم نبع ديارنا.

رفض الرجل بشدة دخولنا، وتجمعت نحونا بقية العائلة وعائلات أخرى ممن

يسكنون المنزل، واتضح لنا أنهم عائلات استوردت من بولندا وألمانيا لتسكن فى بيوتنا، وتحتل مكاننا.

شاهدنا المنزل، وشاهدنا الحقيقة، أننا لا نملك إلا شهادة ملكية للمكان، وأننا اليوم فقدناها فى هذا الزمان. عدنا إلى البيت، الحسرة فى قلوبنا، نحمل هم أبى فى عقولنا لقد تأثر والدى كثيرا.

لقد طردنا اليهود من بيتنا، لقد رفض اليهود المحتلون لبيوتنا حتى رؤيتها واسترسل ابى يقول آيه من القرآن الكريم «ان الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد».

وبعد مرور سنة على الحادثة جاء يدق بابنا رجل اسمه أبراهام، جاء يحاول التودد والتقرب لأبى، ويخبره بأن الوضع قد تحسن الآن وبأنه يستطيع أن يقبض ثمن البيت فى القطمون، وأن الحكومة الإسرائيلية مستعدة لدفع الثمن الذى يطلبه.

فاهتز والدى اقفا وبلهجة صارمة قال: لايوجد عندنا بيوت للبيع، لقد عشت عشرين عاما بدون أن أفكر فى بيع هذا البيت، وافضل الموت على أن تلوث جيوبى بقذارة مالكم، فنحن يا أخى لا نبيع لإسرائيل ولا لغيرها، فمالنا وأملاكنا هى مثل نسائنا هى عرضنا لا نتاجر بها أبدا. وأضاف والدى قائلا : فى يوم من الأيام سيتبدل الزمان، وسيكون هناك رجال غير هؤلاء الرجال، ومن المحال أن يدوم الوضع على هذا الحال.

إن الحقيقة لابد أن تظهر ، وللعالم أن يتنور.

«قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا» .

واحة السلام

اتصل خالى وجيه يدعونى للقاء مع مجموعة من دعاة السلام، هذه المجموعة تطلق على نفسها اسم واحة السلام، وقال خالى مقنعا: إنها ستكون فرصة للتعرف عليهم عن قرب ولنعرف ما الذى يريدون الوصول اليه من هذه الاجتماعات، اجتمعنا فى أحد بيوت المقدسيين، بالقرب من باب العامود وكان يدير السهرة رجل أمريكى، كان قد استأجر البيت من عائلة الدزدار.

حاول هذا الرجل الأمريكى الجمع ما بين الإسرائيلى والعربى، يدعوهما حول شراب بارد وبعض الحلوى ، ليقربهما من بعضهما.

اجتمعنا هناك، الكل يضع الابتسامة على الشفاه، لا أحد يعرف كيف سيبدأ الحوار، ولا كيف ستنتهى هذه السهرة ، طبعا حاول اليهود وأغلبهم من الأمريكان أن يتقربوا منا، ويتحسسوا آلامنا وتفهم مصابنا، وحاولنا جاهدين أن نبنى الجسور لكى نفهم ما فى الخلد يدور.

وكنت أحرص على الوجود كلما سنحت لى الفرصة بذلك، لقد بدأت أتلمس من خلال هذه الاجتماعات أن هناك يهودا يعارضون معارضة شديدة ما تقوم به الحكومة الإسرائيلية تجاه الشعب الفلسطينى.

وكان من بين الموجودين فى ذلك الوقت الشاب العربى ألبرت عازاريان الذى أصبح فيما بعد أحد أعضاء الوفد الفلسطينى المفاوض فى مدريد.

إن السلام أساسى وضرورى فى حياة كل إنسان على وجه الخليقة، وأساس

السلام العدل، سلام دون عدالة كبيت دون بوابة، من الصعب الدخول أو الخروج منه، حائط يقف حائلا ما بين الحق والحقيقة.

كانت تجربة جيدة لى فى هذه السن المبكرة وتحت هذه الظروف الصعبة، تعلمت أن الحلول لفلسطين ستكون كثيرة، وأن الحلم بأن تعود فلسطين شاملة، فلسطين المسلوبة عام ٤٨، وفلسطين الضائعة فى ٦٧، سيحتاج إلى كثير من الصبر والإيمان برب العالمين.

مدرسة الأصدقاء

بسبب انشغالي المستمر بالسياسة والوضع الحالي بدأت أوضاعي المدرسية تتدهور. وبدأت الدرجات تأخذ بالنزول، انشغلت بالأدب السياسي والشعر الوطني بدلا من الفيزياء والكيمياء والحساب، وكنت في مدرسة راهبات جئن الينا من ألمانيا يحملن أفكارا جديدة بأن النجاح الباهر لايكون إلا في المواضيع العلمية، وبدأت أفشل في هذه المواضيع لقد كان عقلي بعيدا كل البعد عن الهندسة والحساب، كنت أقرب إلى أحمد شوقي وتوفيق الحكيم، إلى نزار قباني وأدونيس وإلى سميح القاسم ومحمود درويش، وكان عالم أينشتاين ليس من عالمي ، كانت هناك سهاد ثانية في عقلي، لا تستطيع أن تكون سهادهم، فأنا أنا وهم هم.

لم تكفني نكسة ٦٧، فكان لابد لي أن أمر بنكسة دراسية، أصررت بعدها أن أنتقل إلى مدرسة أمريكية، مدرسة مشهورة في رام الله اسمها مدرسة الأصدقاء FRIENDS GIRLS SCHOOL.

وكان الانتقال للمرحلة الثانوية ؛ وفي هذه المرحلة تبدأ المدرسة بمرحلة الاختلاط - تمهيدا لنا كي نتعود على بعضنا البعض عند الوصول إلى المرحلة الجامعية، أي الأولاد والبنات بعضهم بعضا ، فالأدبي يدرسون في مدرسة البنات التي تقع بالقرب من منتزه رام الله الجميل، وأما العلمي في مدرسة الفرندز للأولاد التي تقع على مقربة من دوار رام الله الشهير.

مسز بول كانت مديرة مدرسة البنات، والسيد فؤاد زرو مدير مدرسة الأولاد، ولخطورة الأوضاع السائدة بعد الاحتلال، بقيت أبيت في المنزل الداخلي للبنات،

التقيت هناك ببنات من عائلة الشوا من غزة، فكانت صديقتى العزيزة ليما، كما كانت بنات عمها آمال وسميرة، زهوة وزينة، وآمنة أبو مدين وسهير الترزى، كما كانت هناك شيرين ونسرين النمر من جنين، وكنت المقدسية الوحيدة فى هذا القسم، ونمت صداقات متينة، حتى أصبحت لا أحب أن أذهب إلى البيت فى الإجازات المسموحة، لأبقى مع صديقاتى نجلس تحت شجر الصنوبر، نكتب الشعر والنثر ، وأنا وليما الشوا نتسامر ونتحاور فى امورنا السياسية ، وعن العشق والغرام لم نتأخر.

وكان يوم الأحد يوما مخصصا للاجتماعات الصباحية الكويكرز QUAKERS فى بيت الأصدقاء.

ذهبت ذات صباح مع مسز بول والأستاذ هاتشموسون للاجتماع الصباحى يوم الأحد.

فوجئت ببساطة المكان، لاتوجد هناك صور لعيسى عليه السلام، لا توجد سوى أدراج من الخشب، بيانو وطاولة بسيطة يقف خلفها الحكيم الذى يدير هذا الاجتماع الدينى . والتقيت هناك بالدكتور منصور وزوجته، وإذا به يعرف جميع أفراد العائلة، فالدكتور منصور مهاجر من اللد من ٤٨، وأصبحت رام الله بلاده الجديدة. وكان كلما شاهدنى حيانى قائلا : أهلا أهلا باليزابيث تايلور، هو كان يرى شبها بينى وبينها، ويطلب من الحاضرين أن يتأملوا وجهى قائلا لهم ألا تشبه مسز تايلور؟ وكنت أضحك مجاملة، وكانوا يضحكون موافقين.

الكويكرز جماعة من الأمريكان، رفضوا الدخول فى المعارك وقتل النفس البشرية، فانشقوا عن المجموعات الأخرى فى أمريكا فى بداية القرن الثامن عشر، مكونين مجموعات صغيرة فى كل مكان، يطالبون الناس بالارتقاء بالنفس البشرية ، داعين للسلام، والزهد فى الحياة الزائلة.

أعجبتنى طريقة حياتهم وصلاتهم، اتصال روحى بين الخالق والمخلوق، راعنى شدة الحب والمودة بين أفراد هذه المجموعة والتسامح الشديد بين أفرادها،

وأحببت أن أكون منهم، فأطلقوا عليّ المسلمة الكويكرية، قائلين بأنه لا يجب أن نكون مسيحيين أو مسلمين المهم أن تكون الروح نقية والنية خالصة فى محبة الله والبشرية.

فى هذه الاجتماعات كان يحق لأى إنسان أن يقف ويسرد لنا ماذا يحس به فى تلك اللحظة، ويكلمنا ربما عن تجربة أو إحساس يساعدنا على أن نتخلص من شرور أنفسنا وكان يتخلل الجلسة الغناء الجماعى.

وكانت «MORNING HAS BROKEN» من الأغانى المفضلة لدى ولدى زميلتى ليندا ركب التى كانت تنتمى لهذه المجموعة ومعى فى نفس الفصل . تعلمت معهم التعايش السلمى مع نفسى، تعلمت الدرس الثالث فى التعايش مع العالم بسلام، فأبى كان المعلم الأول من خلال أصدقائه اليهود، كان هو والاسلام البداية والمدرسة الثانية أما الكويكرز فقد زرعوا فى قلبى سلاما بلا نهاية..

فى مدرسة الفرندز عدت إلى نفسى، ولاقيت ترحيبا من المعلمين والمعلمات، وشجعوا فى كل ما أملك من مواهب وقدرات، أحسوا بسهاد الإنسانة، فلم يطلبوا منى المعجزات، وتركونى لأكون ، وساعدونى لكى أكتشف نفسى دون تخوف ودون ضغوط فى العلوم.

درس فى الجغرافيا

السيدة زينب معتوق مدرسة الجغرافيا واللغة العربية ، طلبت منا ان نرسم الخارطة الفلسطينية .

بعد أن قدمنا الرسومات ، مررت بصرها سريعا تقلب بين الصفحات الاوراق ، جميع ما قدم لها من التلاميذ والتلميذات ، نظرت الينا نظرة إشفاق ورثاء ، وطلبت من إحدى الطالبات أن ترسم على اللوحة وبالطبشورة ، خارطة البلاد ، ونظرت الينا قائلة : يا أولاد ويا بنات ، عيب وعار علينا ألا نعرف كيف تحول اسرائيل خارطة أرض الأجداد .

ان «بحيرة الحولة» كانت على أرض الرسل قبل أن تمتد يد الصهاينة لتجفف ماءها ، معتقدة أنها ستحول ارضها الى مزرعة هبطت من الجنة الخضراء .

يا احبائى بحيرة الحولة ليست موجودة فى خارطة فلسطين الجديدة ، بل توجد أرض جرداء ، لا تصلح للزرع ولا للنبات .

أما عن مدينة تل أبيب فأجيبونى يا شاطرين ماذا تعرفون عن هذا الاسم وعن هذا البلد بالذات ؟ .

تل أبيب العاصمة التى اختارتها اسرائيل بعد أن اغتصبت أرضنا وقامت بعملية التهجير.

لم تكن هناك على الخارطة الفلسطينية بلد تدعى تل أبيب ، ان هذه العاصمة

هى نفسها بيارات أهل يافا ومزارعهم من الموالح ، جففت واقتلعت ليوجدوا مكانها عاصمة لناس استوردوهم من جميع البلاد .

ان اسرائيل تغير كل يوم فى معالم فلسطين حتى تنسى العالم قضية القرن العشرين ، فاحفظوا الخريطة لأبنائكم وللأحفاد وحافظوا على الحقيقة ولا تقبلوا لهم التغيير والتزوير فى بلادنا ، واعلموا ان وعد الله قريب بأن ترد فلسطين لأهلها بالحق والعدل .

درس فى التاريخ

أضرب الطلبة حدادا على مرور ثلاثة أعوام على الاحتلال ، وخرجنا الى الشوارع فى مظاهرات تندد وتهدد وترفع الشعارات تنادى فى العالم الضمير ، وتسأل الدولة الاسرائيلية الرحيل عن ارضنا .

فى اليوم الثانى وفى درس التاريخ طلب منا المدرس الامريكى JOHN VOSS ان نحدثه عن تاريخ فلسطين ، ولماذا عن الحضور كنا بالأمس متخلفين.

حاولنا تزويده بمعلومات من هنا وهناك عن تاريخ فلسطين جاهدين ، فشلنا أن ننقل له صورة واضحة عن تاريخ هذا البلد الامين .

كان JOHN VOSS استاذا ذكيا فى أوائل العشرين ، جاء ليعمل بمدرسة الفرندز متبرعا حتى يلتقى بأهل فلسطين .

ليتعرف منهم على أصل الحكاية ، ولأنه شك فيما بثته وسائل الاعلام الصهيونية من دعاية، صرخ فينا متسائلا بعد ان عجزنا عن الرد والإجابة :

كيف تمشون فى مظاهرات وتحملون اللافتات وقد نسيتم ان أهم ما فى هذه القضية حتى تكسبوا رأى الامم العالمية ان يكون لكم مستندات قوية ترجعون اليها فى الدفاع عن هذه الارض العربية ، لابد ان تعلموا ان العالم لا يسمع الى البكاء ولا الى العويل انسوا ايها العرب حكاية الضمير ، فالغرب بحاجة الى الكثير والكثير من التنوير عن طريق العلم والمعرفة، ولكم فى حلقات التاريخ أكبر دليل على من يملك ارض فلسطين ، من هم سكانها الأصليون؟ ومن أين جاءوا أمن أوروبا أم هم وجدوا على الارض منذ آلاف السنين ، لم يغادروها ودافعوا

عنها ورابطوا على أرضها ، مناضلين مستبسلين ، للخير ناشرين ، وللغزاة طاردين، الغالى والرخيص فى سبيلها مقدمين .

ألم تعلموا كيف دخل الصهاينة البلاد قاتلين الشجر والاولاد ، مدعين انهم زرعوا الارض قبل آلاف السنين ولرب العباد الصلاة مقدمين ؟

عليكم ان تتعلموا تاريخ فلسطين قبل ان تخرجوا الى الشوارع هائجين ، اننا نعيش فى عالم الاعلام والصحافة ، عالم كله لا يسمع الا العقل والرجاحة امامكم باب كبير منه تستطيعون ان تدخلوا شارحين عن عدالة قضيتكم من خلال رسل الله الجديدة ؛ الشاشة الصغيرة والصحافة صاحبة الجلالة ، مفسرين مقنعين بالعقل والتاريخ والدين ، انكم قبل الزمان بزمان وجدتم على أرض فلسطين تحافظون على الأرض بعزة وكرامة . صورتكم فى الغرب مشوهة ، فأنتم أمة الاسلام والعروبة فى كل مكان مدمرين مخربين ، أما آن الأوان لكى تفيقوا من الاحلام ، وتعملوا جادين بالعلم والايمان لكى يصل صوتكم إلى بلادنا كما وصلتنا رسائلكم السماوية ، تأخذ العدالة عن طريق المنطق والدراسة .

طلب منا هذا المعلم النبيل ان نكتب له فى خلال اسبوع مذكرة عن تاريخ فلسطين .

فيها نعود الى المراجع ونطالع كتب المؤرخين من عرب ومستشرقين ، اهدانى عمى حسن كتابا للأستاذ عارف العارف المؤرخ الكبير فعلمت منه اننا نحن اليبوسيين على الارض منذ اكثر من خمسة آلاف سنة موجودين واننا لم نغادر البلاد ، وتصدينا للمغول والتتر والصليبيين والاتراك . وان الارض ارضنا ، دافعنا عنها جيلا بعد جيل ، ودافعنا فيها عن التوارة والانجيل وحميناها بالقرآن الكريم ، واننا هنا صامدون صامدون صامدون .

ألـــــوان

بدأ الشـارع الفلسطيني يتلمس من قريب ومن بعيد أن هناك عملية لغسل دماغ الشباب من ابنائنا بتفاهات جديدة بعيدة كل البعد عن حضارتنا وعاداتنا وتقاليدنا . فكان لابد من مقاومة هذه الحركة من قبل القوميين العرب والمثقفين من ابنائنا ، والتصدى لهذه التغيرات التى تحاول اسرائيل من خلالها محو الهوية العربية واستبدالها بهوية ضائعة لاهى غربية ولا إسرائيلية ، بعيدة كل البعد عن التقدم الحضارى والمنارة العلمية .

فكان ان قام العديد من ابناء بلدى مشكورين ، تحت ظروفـه سياسية ومادية واجتماعية صعبة ، بمحاولات عدة من خلال اصدار مجلات وجرائد ثقافية كان لها الفضل فى ان يبتدع الآخرون أفكاراً جديدة تدعو للعمل على ساحة الأرض الفلسطينية . فكان ان فاتحنى الأخوان اسحق البديرى وعطية فى أبو رميلة القيام بتجربة جديدة لإصدار مجلة شهرية اسمها «ألوان» للاخ يوسف نفاع ، من خلالها نحاول بث المعلومة الثقافية التى تأخذ بيد أبنائنا واهالينا للحفاظ على الجسور الثقافية المبنية ما بين فلسطين الحبيبة وإخواننا العرب فى كل مكان ، وعلى ان تعالج الامور المحلية الاجتماعية والسياسية والثقافية ، والارتقاء بالفكر والعلم الذى تخاذل بعض الشىء بعد سقوط فلسطين عام ١٩٦٧ ، للنهوض به ثانية محركا السكون الثقافى الذى انتابنا بعد النكسة الحزيرانية .

ولقد رأى الأخوان اسحق وعطية أن تقام ندوة اجتماعية ثقافية على صفحات «ألوان» يكون مضمونها متطلبات الزواج والوضع السياسى الراهن ، تعالج على

صفحاتها التعاون بين أهل العريس والعروس وعدم المغالاة فى الطلبات ، خاصة أن أبناءنا المتعلمين تعرضوا لضربة قاسية بعدم توفر الوظائف التى تتناسب والدرجة العلمية الحاصلين عليها ، فلهذا كان على شبابنا ان يعملوا بأقل المرتبات، وفى وظائف لا تليق بمستواهم الاجتماعى ولا العلمى ؛ ففى سبيل الحفاظ على عروبة الأرض تحمل الشباب والشابات الكثير من المعاناة اللاإنسانية وصمدوا يدا بيد يتعاونون فى مواجهة الاستعمار بقرار الصمود والاستمرار والزواج ولو بدينار .

قال النبى (صلعم) «الزواج نصف الدين» ، وتحت وطأة هذه الظروف يعتبر الزواج جهاداً ورباطا ، فكان للأحلام الكبيرة ان بدأت بغرفة صغيرة ملئت أرجاؤها صبيانا وبنات لا ينطقون الا بلغة القرآن لغة الضاد ينقلها الابن للاحفاد، هكذا كنا نحافظ على البلاد .

بدأت رحلتى مع العمل الثقافى حينما عرض علىّ الأخ يوسف نفاع بأن أعمل معهم مجانا بهذه المجلة .

كان لـ «ألوان» الفضل الأول فى أن يبدأ مشوار حياتى فى محاربة الاستعمار بالفكر والعلم والإيمان بالعمل الفعلى بعيدا عن رفع الرايات والمبالغة بالكلمات .

حملت هوية الصحافة فى سن صغيرة وأنا أطير من الفرح . وقد حوربت «ألوان» بشتى الوسائل وانقطعت عن الاصدار الى أن عادت السلطة وعاد قائد الثورة والثوار الرئيس أبو عمار .

الأيدى الناعمة

كان لابد ان تحدث طفرة ثقافية من نوع آخر تواكب الصحوة الصحفية ، فكان ان عزم الأخوان اسحق وعطية على أن نبدأ مسيرة جديدة وخطوة جدية وجريئة لم تأخذ مجالها بعد لا قبل عام ٦٧ ولا بعدها إلا بسنوات ، فبدأت فكرة اقامة المسرح التجريبى ، لم يكن هناك امامنا إلا الطاقات ، اما المادة فكانت تدبر من الطاقم الذى ساعد على قيام هذا المسرح .

وبحثنا وفكرنا وجمعنا الشباب من ابناء البلاد الذين تبرعوا للقيام بدورهم الوطنى الذى ينبع عن ايمان بأهمية الدور الثقافى ، وتحريك الجمود الذى سيطر على القدس ، وخلق وعى ومفهوم جديد لأساليب بنائه تساعد اهل البلد كى يخرجوا بعض الشىء من حصارهم النفسى ، وللرفع من مستواهم المعنوى ، ولإمدادهم بأهمية العمل على ارض الواقع للحفاظ على الوجه العربى للقدس ، اجتمعنا نعمل لاداء المسرحية أخوة مسلمين ومسيحيين من ابناء القدس الشريف ، واذكر هنا الأخت هيلدا العيسى ، وفاء بشناق ، والاخ بسام زعمط الذى يعتبر الآن قمة من قمم الاداء المسرحى والتليفزيونى وبدأنا المسيرة معا ، بدافع من الايمان بالعمل وبعروبة فلسطين .

وكانت البداية مع كاتب القرن العشرين وأحد أكبر قادة مصر فى تأسيس وبناء الرواية والمسرحية ألا وهو الكاتب الكبير توفيق الحكيم ، وكما عشقنا صوت مصر قبل ان نراه فلقد عشقنا ادب مصر والتقينا بأدبائها على صفحات من كتب

كان لنا فيها العزاء فى وحدتنا ، ونافذة نطل من خلالها لنجتمع بإخواننا العرب فى كل مكان رغم حلقات الحصار الخانق حول اعناقنا .

بدأت المسيرة بمسرحية «الأيدى الناعمة» ، قدمت جميع التسهيلات من جميع المؤسسات العلمية والأندية فى القدس ، فكان أن قدمت مدرسة المطران للاولاد فى القدس مسرح المدرسة لنقوم بالتمرينات اللازمة لأداء المسرحية وبعدها قدمت جمعية الشبان المسيحية YMCA مسرحها الكبير لأداء المسرحية التى لاقت نجاحا كبيرا .

ان الشعوب اذا ارادت ان تقوم بعمل ما ، لا يهم ان تتوفر المادة ، فقد كان زادنا العزيمة لأداء واجب وطنى كانت ثماره ان حملنا رسالة جديدة وفتحنا بابا جديدا امام ابنائنا فى الداخل ليقوموا بعمل فعلى يعبرون من خلاله فيما بعد عن مشاكلهم الاجتماعية والسياسية والثقافية فكان ان وضع حجر الاساس من قبل مواطنين عاديين لم يجمعهم حزب ولا عقائد ، بل جمعهم حب للوطن وثقافة تناهض الظلم .

فى مشوارى هذا كنت قد التقيت بإخوة آخرين كانوا يدافعون بالكلمة واللحن كل يوم عن أرضهم ، فرقة بلالين وكانت مكونة من الإخوة عشراوى ، واميل عشراوى كان زميلا فاضلا عرف بحبه وانتمائه للارض هو وعائلته ، إنه الجندى المجهول الذى دافع عن فلسطين بصوته وكلماته وموسيقاه ، الذى يقف مساندا زوجته التى تعتبر علما من أعلام نساء فلسطين ألا وهى السيدة حنان عشراوى .

ومن خلال اميل عشراوى التقيت فى أوائل السبعينات بالاخ نبيل عبوشى وفرنسوا كاسبار ، لنبدأ طريقا جديدا لم استطع الاستمرار فيه لذهابى لإكمال دراستى الجامعية فى بيروت .

وما زالت فرقة الحكواتى حية الى يومنا هذا تمثل بوجوه جديدة ولكنها تقوم كما عهدناها بدورها المميز على الساحة الفلسطينية .

هذه مرحلة تاريخية من حياتى لن أنساها ما حييت ولن أنسى جميع الوجوه التى بدأت معها أولى الخطوات على سلم ملىء بالعمل الجاد والإيمان بإرادة الشعوب

وهنا لا ننسى قول أبى القاسم الشابى الذى حملنا أبيات قصيدته «إرادة الحياة» شعارا لنا ولكل جيل :

إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلى

ولابد للقيد أن ينكسر

أصبح الزواج فى المهجر وأصبحنا نشتهى الزيت والزعتر

جاء عام ٧٢ يزف إلينا خبر خطوبة الخال حسين الذى كان يعمل مع إحدى الشركات السعودية للاستيراد والتصدير فى الرياض ، انتاب العائلة فرح شديد فهذه أولى الافراح لابناء الجدة ام محمد فلقد سبق الخال حسين اخاه محمد الذى يكبره بحوالى سنتين بالالتقاء برفيقة الدرب ، وفى غمرة الفرح لهذا النبأ وقف الجميع حيارى أين يتم الزفاف وحسين لا يسمح له بدخول القدس حتى ولو بزيارة ، حزنت الجدة كثيراً وبكى جدى من ظلم هذه الدولة الدخيلة يمنع ابن البلاد من الاحتفال بزفافه على أرض الجد والأحفاد ، والجرم انه كان يعمل فى السعودية يوم وقعت القدس فريسة للاستعمار الصهيونى ، الذى لم يحص الا الذين وجدوا على هذه الأرض ،النبيلة ، ولقد وقع اختيار الخال على إحدى بنات العائلة التى تقيم واهلها فى أرض السعودية أرض النبوة مقام النبى عليه الصلاة والسلام ، كان لعائلة لينا الكاظمى بيت يطل على شواطىء الإسكندرية فى مصر تم الإجماع من العائلة على أن يقام عقد القران فى مصر الحبيبة ، وحيث انه كان من المحال أن يحصل خالى وبقية الخالات والاخوال وعائلة العروس على تصريح للدخول الى القدس لعقد القران ، سافرت الى مصر اطير فرحا أحمل فى جعبتى أجمل الأحلام عن بلد وقف صامدا معنا يؤيدنا وينصرنا فى كل زمان ومن كل مكان .

فى شـهر حـزيران (يونـيو) من عـام ١٩٧٢ هبطت الطائرة على أرض شـعب عرفناه قبل الزمان بزمـان وعرفنا حضـارته وثقافتـه منذ نعومة الاظافر . وكنا نستقى التاريخ والأدب والفن ونتعلم من ابنائه الكثير عبر المذياع والكتيب ، مما جعله امـامنا اسطورة نحلم بأن تطأ اقدامنا ارضـها لننعم بلقاء اهلها وتاريخـها المرسوم فى أعيننا ، المحفور فى عقولنا عبر التاريخ والزمان .

فى قارب مصـر العروبة ،احسست بالفخر بأننى عربية واننى .أركب سـفينة نوح تخلصنى من ظلم عـالم القرن العشـرين لتقلنى بسـلام وأمـان الى شـاطىء القرن الحادى والعشرين .

كان فى انتظارى وفى فندق النيل هيلتون استاذى الامريكى الاصل JOHN VOSS ينتظر وصولى بفارغ الصبر ، لأبدأ معه على أرض مصر الأمينة سرد أول قصـة لانسـان عاش على ارضـها منذ آلاف السنين بانيا الاهرامـات مقدسـا الشـمس والقمر والجمـال ، عرف الوحدانية ، عرف عن الحيـاة بعد الموت ، يسبق الازمان بالمعلومات بأزمان .

خلال اقامتى بالقاهرة حاولت ان أقوم ببعض الاعمال حتى يتم وصـول الاهل بعد ايام ، فى خلال هذه الفترة القصيرة قمت ببعض اللقاءات مع فنانين كبار لننشرها فيما بعد بمجلة «ألوان» .

ولقد حـالفنى الحظ بلقاء الفنان الكبير يوسف شـعبـان والفنانة مـيرفت أمين والفنان إبراهيم خان .

حصلت نادرة طريفة فى بيت الأسـتـاذ يوسف شعبان ، فقد أخذ جون يتصل بى كل نصف سـاعـة خـوفـا على من هذا الفنان الذى وضـع حـبـة منوم لسـعـاد حسنى فى أحد الافلام .

يوسف شـعـبـان انسـان مهذب ولماح فـجاء بالكازوزة والمفتاح يقدم الشراب ضاحكا : ماتخافيش مش هيكون فيها حبة منوم ده المنوم وضعناه بس للممثلة علشان المخرج عايز كده .. شغل أفلام .

أعجبنى فى يوسف شعبان سرعة بديهته وصراحته ، ومع الاسف ان حياتى اخذتنى إلى محطات اخرى فى العالم الكبير فلم التق من يومها بهذا الفنان القدير

أما الفنانة ميرفت أمين جاءت تقابلنى فى قهوة النيل هيلتون مصطحبة معها سيدة وكان انبهارها لصغر سنى شديدا ، وقالت على الفور أنت صغيره على أن تكونى صحفية .

فأجبت بلطف وأنت صغيرة ساحرة وأثبت أنك ممثلة ماهرة ، حب العمل إذا ارتبط بالموهبة والإيمان لا يعرف أبدا الزمان .

وبعد أيام وصلت العائلة جدى وجدتى وبعض خالاتى وأخوالى وأمى وأبناء الخالات جئنا لنحضر كتب كتاب الخال حسين ، جدى أبو الأمين يطير فرحا بابنه المقبل على الزواج فى هذه السن الصغيرة .

وفى إحدى الامسيات ذهبنا لنحضر مسرحية الايدى الناعمة ، عميد المسرح العربى الاستاذ الكبير يوسف وهبى الأب الذى يقوم بالبطولة .

أصرت العائلة على أن نلتقى بالأستاذ يوسف وهبى خلف الكواليس وبين الاستراحات تم لنا هذا اللقاء بالتنسيق مع من يعملون بالمسرح ، حكيت له أنى عملت على خشبة مسرح الشبان المسيحيين نفس المسرحية ، فأجاب بحنان : تفضلى بالتمثيل معنا بكرة ، ورددت : يا ريت بس أنا ما بعرفش أحكى مصرى .

ولمجلة «الوان» سألت الاستاذ يوسف وهبى عن أمنيته ، فقال أمام جميع أفراد العائلة إنه اشتاق لأيام زمان يوم كان يجوب مسارح فلسطين الذين كانوا به من أشد المعجبين .

قال أمنيتى ان تعود فلسطين لأهلها المخلصين لترجع ايام زمان ، ونمثل اجمل الحكايات ونأكل مع أهلنا هناك الطعام الفلسطينى وراية النصر مرفوعة فوق كل مدينة وكل قرية يالله يا كريم .

فردت امى وجدتى مسرعتين وبلهفة كأنهما أطفال قائلتين : يا اهلا وسهلا بيك، كل البيوت بيوتك يا أستاذ يوسف بيك .

الشـــتات

وصلنا الى الأردن لنتلقى الأخبار الحزينة ، خالتى عائدة فى الكويت فى حالة خطرة ، خـالتى عـائدة فـى الثـلاثين لـم تتـحـمل الـغـربة وأحـرق صـدرهـا الحنين ، حرقت صدرها بسجائر الدخان ، لتقتل بين نارها فى الغربة مأساة الزمان ، تشعل السيجارة تلو الأخرى ، تريد أن تطفىء بداخلها حرقة القلب ، فى البعد عن القدس ، فى البعد عن منزل الأوطان ، وعن زهور كـانت قـد زرعتـهـا فـى البستان .

قلبها لم يتحمل الغربة وعقلها لم يتحمل الصدمة ، البعد عن الأب والأم يا عالم حرام ، وضعوا الحواجز بيننا ، حاجزا من خلفه حاجز ، يمنعون الوريد من الوصول الى القلب ، قطعوا فينا شريانا وراء شريان .

مـاتت عـائدة وهى تحلم بأن تموت فى أرض أجدادها ، وماتت وهى تصرخ ألما على فراق أمها وإخوانها .

وحزنت جدتى كثيرا ، وبكى جدى كالصـغـار ، وحبس فى قعر الدار ، ولم يستطع الخروج الى الكويت ، ليشيع ابنته عائدة فى نهاية المشوار .

مأساتنا كبيرة وهذه حكايات عاشرتها وأنا لست بكبيرة ولا صغيرة .

مـا أقسى أن يعيش الإنسان مشردا عن وطنه ، مـا أقسى أن يحرم من مشاهدة أهله ، مـا أقسى أن يبعد عن مكان ولادته ، مـا أصعب ألا يجمع رفاته فى مقبرة عـائلته ، ماتت قبل أن تعود القدس ، وقبل أن تعود فلسطين ومازال أبناؤها فى العالم مشتتين .

لا يموت حق ومن ورائه مطالب

إسرائيل تطالب اليوم بأموالها وذهبها الذى أخذته الدول الأوربية ، ووضعته فى البنوك السويسرية ، إسرائيل تطلب العدالة فى حقوقها ، وتطلب استرداد ممتلكاتها ، بارك الله خطواتك يا إسرائيل ، فأنت العدالة وأنت الحضارة .

إسرائيل يا من تحركين العالم أجمع ، لك حقوق فى العالم الأكبر ، الحق فى المال وفى الأرض وفى جوازات السفر الخضراء والحمراء ، لك السماء والماء ، وفى سجونك آلاف العزل والأبرياء .

يا أم الشعارات الديمقراطية ، ويا أم العدالة العالمية ، كيف تطالبين بالعدل ، وكل يوم فى ربوع بلادى تحرقين العشب الأخضر واليابس ، تسرقين الأراضى ، وتزورين المستندات ، وترمينا نحن الفلسطينيين أبناء البلاد الى ما خلف حدود الأوطان ، وتدعين ملكية المكان والزمان ، وترشقينا بأكاذيب من الادعاءات ، وتشوهين بلادنا بالمستعمرات ، وتحتمين كل يوم تحت لافتات والشعارات .

لا يا أسرائيل ، فإسرائيل الأكذوبة لن تحيا ، إسرائيل الأسطورة على أرضنا لن تبقى ، تطالبين اليوم وبعد عشرات السنين بذهب وفضة من الأوربيين ، الدرس المفيد أنه كما تدين تدان ، وأن العبقرية أن نقرأ الكتب السماوية ونستفيد من قصص التوراة والإنجيل والقرآن ، وأن نقرأ الكتب التاريخية ، ونتعلم أنه لا يدوم لدولة طاغية زمان ، وأن الله سبحانه وتعالى قادر فى لحظة من لحظاته أمام هذا الكم الهائل من التغطرس والطغيان ، أن يقيم العواصف وأن يأتى الطوفان ، ويمحو من صفحاته السماوية شعبا طغى وتعالى ونسى جبروت الرحمن.

اين أنت من الحق والعدالة ، وأين أنت من الشريعة والحضارة ، مطالبة بالحقوق ناسية أن هناك حقا لابد يوما ان يعود .

فدولة الظلم ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة .

فدائى أمه يهودية

كانت سهاد نمر مخطوبة إلى ابن عمها عصام نمر ، الذى قام بعملية فدائية داخل الأرض المحتلة ، وكانت أمه يهودية ، ولكنه لم يتعلم منها إلا الدفاع عن الحق ، وكان علما من أعلام من حملوا رسالة الوطنية ، علمته أمه اليهودية الفلسطينية أن فلسطين هى أرض عربية لا تتسع ليهود العالم الذين يدعون العودة إلى أرض الميعاد .

يقتلون أبناء العم ، أبناء إسحق يقتلون أبناء إسماعيل ، لا يا ولدى أنا اليهودية لا أقبل أن يقتل الأطفال والنساء والآباء باسم الأديان ، فدافع يا ولدى عن وطنك ووطنى ، دافع عن كرامة جدك إبراهيم وجدى .

وحبس البطل فى سجون إسرائيل وشل جسمه على أيادى أجداده من كراسى كهربائية وأطفئت السجائر على كل بقعة من جسده ، وأذاقوه ألوانا من العذاب والهوان .

وبكته أمه اليهودية الفلسطينية وبقيت رافعة رأسها بشموخ ، وتقول إن ولدها لم يتنازل عن الارض ودافع عنها بكل عنفوان وخطيبته سهاد تنتظره ، وهى تدرس فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، تنتظر الإفراج عن حبيبها ، تنتظر ربما تعود البلاد ، ويبقى عصام فى السجون ، يدافع بكبرياء لا يعرف الخنوع .

كلية بيروت للبنات (BUC)

مسلمة سنية أم شيعية ؟! .

بعد أن تم قبولى فى كلية بيروت للبنات كان على أن أملأ استمارة الالتحاق .

الاسم : سهاد حسين قليبو

الديانة : مسلمة .

بعد أن اتممت جميع المطلوب منى فى تعبئة الاستمارة سلمت الاوراق الى السيدة مقدسى التى راجعت بسرعة الاوراق . وإذا بها تتوقف فجأة سائلة محتارة : مسلمة إيه يا سهاد ؟؟ هناك عدة طوائف اسلامية .

ماذا تريد السيدة مقدسى ان تقول لى ؟ ، وقفت حائرة لا أعرف الإجابة ففى فلسطين لا يوجد إلا مسلمين ولم أسئل قبل هذا اليوم عن جنسية إسلامى .

فقلت : أتقصدين حنفية أم شافعية إلخ ؟ فردت قائلة : لالالا يا سهاد ، اتممت الدراسة الثانوية وتدخلين الجامعة وأنت لا تعلمين الى أى طائفة تنتمين .

– أرجوك يا سيده مقدسى ساعدينى فأنا لا أفهم عم تتكلمين ، ففى فلسطين لا يوجد غير مسلمين ومسيحيين .

– آه عرفت ، لأهون عليك السؤال : هل أنت ممن يتبعون النبى محمد «صلعم» أم ممن يتبعون على عليه السلام ؟

وبسرعة البرق رددت : طبعا النبى محمد وهل يوجد فى الإسلام نبى غيره ، وهنا أدركت أننى حللت فى بلد الطائفية فى بلد طمست فيه الهوية الدينية ، ولأول مرة أسجل على أننى مسلمة سنية .

أم سهيل

وأحست السيدة حشمة صاحبة المنزل بحب شديد نحوى ، وعاملتنى كالابنة ، وحاولت أن ترعانى فى غربتى ، وبدأت تنشأ صداقة قوية ما بينى وبينها ، فتدعونى فى بعض الأحيان لآخذ وجبة طعام معها ، أو لاحتساء كوب من القهوة أو الشاى ، وحكت لى الحكاية قائلة : ابنى سهيل مسجون ، وانهمرت الدموع من عينيها قائلة : هل تصدقين يتهمون ابنى الصحفى الكبير سهيل بأنه من المخابرات ، وأنه هو الذى أدلى بمكان غسان كنفانى ، وبأنه له يد فى قتله ، لم أصدق ما أسمع ، مسكينة هذه الأم ، أيعقل أن يقتل صديق صديقه ؟ .. ولماذا؟..

وبعد أسبوعين من استئجارى للمنزل خرج سهيل حشمة ، معلنين براءته وأنه لا علاقة له بهذه الجريمة الشنعاء .

فرحت الأم كثيرا لخروج ابنها من السجن ، وقد كان متزوجا من سيده أمريكية ، وله منها ولدان .

دعتنى أم سهيل الى حفل أقامته فى البيت ، وفيه تعرفت على هذا الصحفى الشامخ الطول ، سريع البديهة ، ولم يكن يدل مظهر سهيل على الإجرام أو الخيانة ، فكان مرحا محبا للناس وحزينا على فقدان صديقه ، أما زوجته الأمريكية ، فكانت هادئة ساكنة .

وبدأت السهرات والدعوات تنهال على سهيل مرحبة بعودته وفرحة ببراءته . فطلبت منى أم سهيل ، ولأنها لاتثق فى أحد غيرى أن يدخل بيتها ، أن أدرس

فى مكتبة ابنها التى توجد داخل المنزل ، وأن أسجل له المكالمات المهمة وإذا استدعى الأمر أن اتصل به فى مكان وجوده ، وأننى فى المقابل سأتقاضى بعض المال .

لقد أعجبتنى الفكرة ، أولا سأكون بالقرب من الرجل الذى عاشر غسان كنفانى ، وكان صديق عمره ورفيق دربه فى جهاده بالكلمة والصورة ، ولم أكن فى حاجة إلى المال ، ولكننى أحسست بالفخر بأن أتعلم الشغل والاعتماد على النفس .

وأخذت أتردد على بيت سهيل كلما احتاج الأمر ، وارتحت الى سهيل وأولاده، أما أمه فكانت سيدة عظيمة .

مأجور عربى

رن جرس التليفون فى البيت بعد مرور عدة شهور على وجودى فى بيروت، وأتى صوت غامض عبر الأسلاك يريد مقابلتى مقابلة سرية فى الساعة الثانية عشرة مساء ، وأوضحوا أنهم مجموعة فدائية تريد التعامل معى .

طلبوا منى بصوت صارم ألا أكلم أو أخبر أحداً ، وإذا فعلت ذلك سوف يعلمون ، ومن الأفضل لى ولسلامتى أن أنفذ هذه الشروط .

ليس من السهل إخافتى أو تهديدى ، فأنا لا أسلم عند أول باب تهديد ، فأنا ابنة الرجل الذى علمنى أن أجابه الصعاب ، وأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فاتصلت بعادل نسيبة ابن عم أمى وطلبت منه لقاءه .

كان مكتبهم الهندسى فى الحمراء ، أى على مقربة منى ، فى خلال عشر دقائق كنت أجلس فى مكتب أبو الحسن ، أخبره عن المخابرة الغريبة .

كان عزمى وعادل نسيبة على علاقة طيبة بمفتى القدس ، الحاج أمين الحسينى ، وكانت عائلة قليبو ، وعائلة الحاج أمين الحسينى قبل مغادرته فلسطين على علاقة وطيدة .

فأبلغ الحاج أمين الحسينى جميع الجهات المختصة ، وعلى رأسهم منظمة فتح ، أن يعرفوا من قام بالاتصال وأن يتركونى لحالى .

وبعد ساعتين أو ثلاث رن التليفون فى بيتى ، وكان على الخط الآخر ابن عم أمى عادل نسيبة ، يطمئننى قائلا : اذهبى الى المقابلة واعرفى ماذا يريدون ، ولن يمسك أحد بضرر .

ذهبت وحاولوا تغيير المكان عدة مرات ، وكان هناك سرية عظيمة ، وكأن هناك حلولا عظيمة تنتظر القضية الفلسطينية ، إضاعة للوقت والمال وقتل لأحاسيس الوطنية .

وأخيرا وجدت نفسى أمام مسئول لا أعرف اسمه ولا رتبته ولا حزبه ، بادرنى قائلا : نحن نعرف الكثير والكثير عنك ، وسمعت بهدوء أريد أن أعرف ما هو هذا الشىء المهم الذى يعرفه عنى .

– نعرف أنك تدخلين القدس كثيرا .

– وهل عندك مانع أن أزور أهلى ؟

– لا لا يوجد لدينا مانع ، ولكن ربما تكونين جاسوسة لصالح إسرائيل .

واهتزت صورة جميلة أمامى لمناضلين قدسناهم فى الأرض المحتلة تقديسا ، وصلينا لهم كل يوم وكل ليلة ، أهذه هى ثورتنا الشعبية ؟ أهذه هى الأحزاب الفلسطينية ؟

هزئت من كلامه وفهمت ماذا يريد ، أراد أن يستفزنى لأرتعب ، وأخاف ، لم يكن يعلم أننى فوق هذه الخيانات ، وأننى فوق هذه الاتهامات ، وأن فلسطين بقلبى حتى الممات .

واستطرد قائلا : ألا تحبين أن نعطيك صفحة جديدة نظيفة فى حياتك ؟، قلت فى شرود وسذاجة : كيف ؟ ، علمنى يا أستاذ كيف تكون الصفحة الجديدة نقية نقية .

رد قائلا : أنت صديقة عزيزة مع أم سهيل وسهيل حشمة ، ونحن نعتقد أنه ليس بريئا ، ونريد منك أن تتجسسى عليه ، سنعطيك آلة تصوير صغيرة جدا فى حجم الجيب ، تصورين لنا بها جميع المستندات التى تقع تحت يدك ، ولن يشك أحد فيك لأنهم يعتبرونك من العائلة .

ونظرت إليه طويلا ، وأجبت ببرود شديد : لم أخن مرة الأمانة ، ولم أدخل بيوت الأهل والأصدقاء وبدمى الخيانة . إذا كنت تريد معرفة الحقيقة ، استخدم

أحداً من أتباعك ، فأنا جئت الى بيروت لأدرس الإعلام ولأعود الى بلدى لأخدم الأوطان .

عار عليك أيها المرتزق المأجور من حزب من أحزاب القذارة ، أن تلوث سمعة القضية بتخويف الناس ، وجرهم رغم أنفهم فى لعب دور من أدوار الدعارة .

أنا فلسطينية ما تعلمت فى بيت والدى القذارة ، ولا تعلمت أن أدخل البيوت إلا من أبوابها ، أصون الأمانة ولا أقبل على نفسى لعب الخيانة .

وفيما بعد علمت أنه مأجور عربى وليس له أى علاقة بأى تنظيم فلسطينى ، وللحفاظ على سمعة هذا البلد العربى الأبى ، لا أريد ذكر هذا العميل المأجور ، ولا أريد أن أعرف له هوية .

الحدود اللبنانية

فى طريق العودة من القدس إلى بيروت، وقفنا على الحدود اللبنانيـة.. ولم يسمح لنا نحن الطلبة بدخول لبنان.

وكان معى فى السيارة تلميذ يدرس فى جامعة بيروت العربية، أخذ الطالب يبكى قائلا: يجب أن أدخل لأكمل دراستى، ما هذا الظلم؟ ظلم فى البلاد نفهمه، فالضفة الغربية محتلة من قبل اليهود ونعلم أنهم أعداؤنا، أما اللبنانيون فهم عرب مثلنا، فكيف يفعلون بنا هذه الأعمال ، وهم يعلمون حق العلم ما نقاسيه تحت وطأة الاحتلال ؟ ، واستطرد: ليس لهم الحق أن يفعلوا بنا ما يفعلون، انظرى إلى جواز سفرى الأردنى، هذه التأشيرة الدراسية، وهذا قبولى فى جامعة بيروت العربية، وأخذ يبكى ويبكى، قلت له كلمنى وكف عن البكاء.

قال: ياأختى سأقص عليك الحكاية، أنا من إحدى قرى الضفة الغربية، من بيت إمرين التى تقع بجانب سبسطية الأثرية، وتبعد نصف الساعة عن نابلس، أمى وأبى فلاحان يزرعان الأرض، ويرعيان شجر الزيتون، دخلنا محدود، والدتى باعت مصاغها كله لتدفع مصاريفى الجامعية، باعت كل ما تملك من حلى وأساور، وخسرت فى بيعها الكثير وكل ذلك لتعلمنى وتفتح أمامى الطريق.

انظرى ماذا الآن يفعلون؟ ، يريدون أن أرجع إلى فلسطين دون شهادة، ماذا سأقول لأمى الحزينة، قبلت يدها مودعا، فرفعت رأسى إلى السماء، وقالت أريدك أن تأتى بالشهادة، وألا يعرف رأسك الانحناء إلا لله جل جلاله.

وجاء الجندى اللبنانى الىّ مستهزئا يقول: أسمعت آخر أغنية لصباح؟ ،

فرددت : ما الأغنية؟ قال: هذه الأغنية تذكرنى بالقضية الفلسطينية، قلت: هات نسمع ما غنت صباح. قال: لا معلق ولا مطلق يا أبو الأحباب، ورددت: ألم تغنّ صباح هذه الأغنية فى لبنان وللأحباء اللبنانيين.

هكذا كنا نعامل فى لبنان من قبل بعض الجهلاء.

من الحدود ومن خلال ضابط صاحب مرءوة وشهامة سمح لى بالاتصال واعتذر الضابط عن تصرف الجندى الغبى. فاتصلت بابن عم أمى عادل نسيبة، وقلت إننى وأحد الطلاب، وكثيرون غيرنا قد أوقفنا على الحدود، رد قائلا . ما الخبر؟ قلت: لا أدرى، ولكن جميع الطلبة من الأرض المحتلة موقوفون هنا.

فقال : اتصلى بى بعد ساعة من الزمن.

وتدخل للمرة الثانية – طيب الله ثراه – المرحوم الحاج أمين الحسينى مفتى الديار، وسمحوا لى بالدخول بعد أقل من نصف الساعة، معللين أن هناك تشابها فى الأسماء ولهذا اتخذ هذا الاجراء. اما الطالب المسكين، أعرف أيها القراء الأعزاء بأنكم متشوقون لمعرفة مصيره.

دخل الطالب إلى لبنان بعد أن تدخل الضابط النبيل، رثى الضابط المسئول لحاله، وأمر بإدخاله.

وصلت بيروت وكنت قد اشتقت للرجوع إلى بيروت الجميلة، بيروت الحضارة، الى شوارع الحمراء فى المدينة، اشتقت إلى أهلى من اللاجئين فى صبرا وشاتيلا.

مزار النبى موسى

تربط عائلة قليبو وعائلة الحسينى أواصر محبة كبيرة، يجمع ما بينهما تاريخ طويل إلى جانب عائلات كثيرة من القدس وغيرها من المدن الكبيرة فى فلسطين، تاريخ العائلتين يرتبط منذ دخول صلاح الدين الأيوبى مخلص الديار من أيادى الصليبيين قبل مئات السنين، لقد عانت الأقلية اليهودية على أيدى الصليبيين الكثير من الاغتيالات وهدر الكرامة وهدم الأماكن الدينية، فما كان من صلاح الدين إلا أن عبر عن سماحة الإسلام والدين، بأن بنى مزارا أسماه النبى موسى حتى يكرم اليهود ويجعلهم يشعرون بالأمان تحت راية الإسلام، ولتكون احتفالاتهم احتفالاتنا كما ورد عنهم فى قرآننا، فاختيرت العائلات التى وقفت تدافع عن سلامة الديار من الغادرين الأشرار والتى كانت تعتبر ميسورة الحال حتى تستطيع أن تصرف على المكان . وكانت غرفة عائلة قليبو ، التى كان آخر من حمل بيرق النبى موسى فيها عمى حسن على قليبو، بجانب غرفة الحسينى، كانت هذه العائلات تحمل البيرق تنزل تمتطى الخيول تعلن بدء الاحتفالات بعيد النبى موسى فى الشهر الرابع من كل سنة والدنيا ربيع والجميع فى عيد، كانت تستمر الاحتفالات لأكثر من شهر. المقام يقع على طريق القدس أريحا، وكنا ونحن صغار نلبس أجمل الثياب لنزور عمى الذى كان يجلس فى وسط الدار يستقبل المهنئين من كل مكان، اذكر جيدا أنه عند المساء كان يجتمع الرجال فى بستان عمى حسن بأريحا ينعمون بجمال الليل ويأكلون ما لذ وطاب من الطعام، أما النساء فيجلسن بعيدا عن مكان الرجال.

وكان رجال الدين بطاركة ومشايخ يأتون من كل مكان ويشاركوننا في الأعياد ويجلسون لاحتساء الشاي بالنعناع في هذا البستان الجميل حتى المساء، كنا صغارا ولكننا كنا نستطيع أن نصل بحجة من الحجج إلى المكان، وأذكر سماحة الشيخ عبدالحميد السائح الذي كان ضمن هذه الشخصيات.

أيام النبي موسى أيام أعياد وأفراح وحلوى ، أذكر منها حلاوة النبي موسى، السمسمية والبسبوسة والقضامة المطحونة والكثير والكثير من الخيرات.

دخل الإسرائيليون فألغوا الاحتفالات وأعادت السلطة الفلسطينية ترميم وتعمير المزار معيدة البهجة إلى المكان.

صبرا وشاتيلا

ذهبت فى إحدى المرات لأزور المخيمات وأطلع على الحقيقة. أمهات أبرياء وعائلات هاجرت، لتسكن بيوتا من التنك وبيوتا من الطين، ليسكنوا الخيام بعد أن كانت بيارتهم ينعم بخيرها الأهل والجيران.

آه ياقلبى ماذا تقول؟ يا أمريكا ماذا بنا تفعلين؟ أتبيعين الضمير لتشترى كرسيا مدته إن طالت فهى بضع سنين.

أهذا هو عالم القرن العشرين؟ أهذه هى أمريكا التى تريد زعامة العالم لأنها اخترعت قنبلة الهيدروجين، لا وألف لا ، لأمريكا ولكل الأوروبيين، ان صرختنا ستكون عالية، ستهز السماء، وتهز الجبال وسيسمعها رب العباد.

لا يا أمريكا، لا ياإسرائيل، إن البلاد التى تبنى مجدها على حطام الآخرين، فانية فانية، إن هؤلاء المساكين من شعبى لن يرضخوا لقهر المحتلين، وإن من يعرف الحقيقة لابد أن يصرخ معنا عاليا داعين على بشر جاءوا يغرسون الخناجر فى أعناقنا، يقتلون الجنين فى احشائنا، يغتصبون بيوتنا يأكلون من شجر كنا قد غرسناه ليأكل منه أبناؤنا، لا وألف لا ياإسرائيل، فمأساة الفلسطينيين مأساة ستنقلب على العالم أجمعين.

لن تقتلوا فينا الآمال، ولن تخرسوا فى أيادينا الأقلام، وظلمكم فاق ظلم فرعون وهتلر وغيره من الطغاة المستبدين، لقد شاهدت أهل الخير وأهل العز ينتقلون من بيوت كانت مرسومة على أرض فلسطين كأنها القمر، جردوهم وأخرجوهم من ديارهم ليسكنوا الطين ويسكنوا الخيام.

مأساتنا لا تقف عند بيوتنا، مأساتنا زحفت لتسكن فى كل بيت من بيوت العالم، نصرخ ونطلب من الله الصبر، ولقضاء حاجتنا به نستعين.

هزتنى صبرا وشاتيلا، كما هزتنى المخيمات فى الوحدات والأنصار فى الأردن.

والتقيت فى أحد المخيمات بسمير غوشه وهو رئيس الجبهة الشعبية، والآن وزير العمل والعمال فى حكومة فلسطين الجديدة.

وذهلت لرؤية سمير ابن إحدى عائلات القدس المعروفة، يجلس بين مجموعات من الشبان والشابات، طبيب الأسنان يحتسى الشاى، وهو جالس على الأرض، أصبحت البطانية سريره، ووعاء من الزنك غطاءه.

جلسنا وتحدثنا، وكان سمير من أجمل الصور التى رأيتها للفدائيين الفلسطينيين، كان مناضلا، ساعد المساكين، مناضلا بجسده، يبنى الخيام مع المهجرين ، ويعطى دروسا عن بلدنا السليب، زرته مرة واحدة لأتعلم الكثير، خرجت من المخيمات لأتعلم المزيد عن مأساتنا، فلم يكن هناك مياه فى الصنابير، ومياه المجارى كانت تجرى أمام البيوت، فتأتى الفئران، وتمتلىء المخيمات بالذباب والحشرات.

مساكين أهل بلدى تحت الاحتلال يعانون، فى الهجرة يعانون، ومن يسمع النداء.

خرجت ألعن إسرائيل ألف مرة، وألعن ضمير أمريكا والغرب آلاف المرات. لقد تعب قلبى الصغير من الدعاء، وتعبت عيونى كل يوم من البكاء.

صفقة ثقافية

دعيت إلى إحدى المناظرات الشعرية التى كانت تقيمها بين الحين والآخر جامعة بيروت الأمريكية، وهناك التقيت بأحد أصدقائى من مدرسة الفرندز رجا شحادة الذى كتب قبل سنوات «الطريق الثالثة» THE THIRD WAY .

جمعت بينى وبين رجا صداقة قوية، صداقة شعر ومسرح وحب وشغف للأدب.

فى الإعلام اخترت مادة الصحافة مع الأستاذ خورى، مادة قريبة إلى قلبى وإلى المسرح، ولم يضيع رجا لحظة واحدة ليعلمنى عن الجديد فى عالم المسرح، كان رجا يدرس الأدب الانجليزى، وفى السنة الثالثة من دراسته.

فى ليلة من الليالى، دعانى الى مسرحية لأتعرف على تمثيل نضال الأشقر.

عادت نضال الأشقر من أمريكا الغربية، تصرخ فى وجه السياسة الغربية، كان صوتها رنانا عاليا ساميا يتدفق عزما، يهز الحاضرين، معلنا الحرب على الامبريالية، وكان لها قوة حضور تشدك، وحوار يشع ذكاء، وعيون تتوقد حرارة ثائرة على المستعمر، وأياد ترتفع يمينا وشمالا ضاربة بشعارات العبودية كالخنجر. هذه نضال، ونضال الأشقر رمز المرأة العصرية، أنوثة تتوقد فيها السياسة الحرة روحا وفكرا وعبقرية.

فى إحدى المرات التقيت بالسيد وجيه مزبودى رئيس تحرير «البيرق» فى بيروت، التقيت به فى ساحة كلية بيروت للبنات، ليغطى خبرا عن جورجينا رزق حين كانت تقيم عرضا خاصا لملابس بوتيكها الذى كانت قد افتتحته بشارع الحمراء.

وذهبت طبعا لأرى ملكة جمال الكون، وكنت فرحة لأننى سأشاهد جورجينا عن قرب، لم تكن تهمنى رؤية الملابس، بقدر ما يهمنى رؤية ملكة جمال العالم.

كانت جورجينا جميلة ورقيقة، اللقب لم يغيرها، بقيت شابة بسيطة، تريد أن تمرح فى الحياة وأن تسعد.

بادرنى السيد وجيه قائلا: ماذا تدرسين فى هذه الجامعة؟ .

- إعلام وعلاقات عامة، إننى أحب الصحافة والفن والمسرح، وكنت قد اشتغلت من قبل بمجلة «ألوان» فى القدس.

فرد قائلا: وهل مازلت تحبين الصحافة؟

- بالطبع إن الصحافة هى سلاح القرن العشرين.

- ما الذى كنت تكتبين عنه فى ألوان؟

- كنت أجرى لقاءات مع شخصيات من أهل الحرف والفن.

- ما رأيك لو عملت معنا فى جريدة «البيرق»؟

- وهل هذا معقول؟ فأنا لا أعرف الناس هنا.

- اتركى هذا علينا، نحن نأخذ المواعيد ونرسل معك المصورين.

وقفت كالطفلة مذهولة، وكأن السماء قد فتحت أمامى أبوابا جديدة من العلم والمعرفة . فى اليوم الثانى ذهبت إلى أستاذ الصحافة فى الجامعة لأتفق وإياه على صفقة جديدة من نوعها، سألته مداعبة وأنا واثقة أنها صفقة خاسرة، ولكن ما يهم، سأترك أمرى لله تعالى:

- يامستر خورى لو استطعت أن أحرر فى إحدى الجرائد، هل تستطيع اعفائى من الامتحانات؟ ، لا تخف سأقرأ المادة، ولكننى لا أحب أن أمتحن، أحب العلم للعلم وليس للدرجة.

وجاوبنى هذا الأستاذ الذكى قائلا: مهمتنا هنا أن نجعل منكم صحفيين ناجحين، العمل الصحفى بحد ذاته انجاز، ولكن هل من المعقول أن تقبل بك إحدى المجلات أو الجرائد؟ ، قلت:

– أريد أن أسمع كلمتك الأخيرة إذا اشتغلت هل أعفى من الامتحانات؟ ، رد وهو فى حيرة من أمره: تعفين من الامتحانات، ولكن لن تعفى من الوجود أثناء المحاضرات، وعقدت واستاذى لتفاقية حديثة.

وبدأت فى التجربة العلمية على أرض لبنان، وإن كان جنود لبنان على الحدود قد أساءوا معاملتى، فإن أهل لبنان غمرونى بكرمهم، وأحاطونى بحبهم ولم يبخلوا علىّ يوما بعلمهم.

وسألنى وجيه: مع من أحب أن يكون اللقاء؟ ، وقلت فى الحال : وهل هذا سؤال يا استاذ؟ مع شحرورة الوادى، مع الصبوحة . وكانت صباح فى ذلك الحين زوجة النائب جو حموده.

بعد أخذ الميعاد ذهبت والمصور الى بيت الصبوحة، واستقبلتنا استقبالا جميلا، امرأة ضحكتها كلها أنوثة ورقة.

امرأة ترى الطبيعة تشع من عينيها على بعد مسافات ومسافات، وأجرينا الحديث حول فنجان من القهوة العربية، وشكولاتة مملوءة بالفستق الحلبى.

وكانت كريمة بكلامها، أنيسة فى جلستها، تفتح أبواب قلبها، لا تجيد إخفاء الأسرار، أحببتها كثيرا، وتحدثنا فى أمور عديدة، وعلمت أنى أدرس اعلاما عاما، وأن إحدى المواد التى أدرسها تاريخ المسرح العالمى، فدعتنى لحضور مسرحيتها التى كان يدير أعمالها زوجها جو حموده.

وكان أن عقدت الصفقة الثانية مع مدرسة المسرح بأن أقوم بتصوير المسرحيات، ونقدها وتقديمها لها بدلا من الامتحانات وتم الاتفاق.

وبعدها دعيت لحضور مسرحية فيروز «المحطة» وأبدعت فيروز، خاصة فى أغنيتها (سألونى الناس)، وأبكت كل من كان فى الصالة معها، وتغيب زوجها عاصى الرحبانى عن الحضور بسبب مرضه.

جسر العودة

عدت إلى فلسطين لقضاء إجازة الصيف مع الأهل فى القدس .

لقائى بوالدى دائما وأبدا كلقائى بالقدس، القدس والدى، ووالدى القدس، أما أمى فهى رحاب الحرم والأقصى، عدت أحمل معى بيروت فى القلب، وأحمل تجاربى أدفنها فى أعماق النفس، وفى نقطة العبور الإسرائيلية بدأت رحلتى مع جنود الصهيونية .

جاء الجندى قائلاً : اخلع حذاءك، ادخل غرفة التفتيش .

خلعنا الأحذية ودخلنا غرف التفتيش، وأمرتنا الجندية بأن نخلع الثياب، ولانبقى إلا بالثياب الداخلية، أما حمالة الصدر فكان يجب أن ننزعها، ومرت بآلة القرن العشرين لتكتشف ماذا نخبئ ونحن نقف أمامها عرايا .

أتريد أن تزرع فى قلوبنا الخوف والرعب، من اختراعات هؤلاء الغربيين ؟ أم تريد أن تذلنا فى الدخول إلى أرضنا، لنصبح مفزوعين .. ثلاثون عاما اليوم يا إسرائيل، وأنا أحمل الهوية، وأخلع الحذاء من الأرجل، وأخلع الملابس عند باب كل مدخل، وأنت الصغيرة وأنا الكبيرة، لأنك لم تجردى منى العزيمة، سآتى إلى وطنى، سأدخل البلاد حتى لو جردتنى من كل الثياب، فتراب القدس غالٍ غالٍ، يحمل ثرى الأجداد، وحجارة القدس غالية غالية، تكلمنا كل يوم عن تاريخنا وتراثنا .

لك يا إسرائيل جبروت زمان اليوم، ولنا بفلسطين المجد والتاريخ والبقاء .

وتنتهى الجندية من التفتيش، ويرموننا فى الممرات بالساعات، لتأتى الينا الأحذية بعد أن تكون قد مرت بآلات حساسة، تكشف عن أسرار ما تحمله من عطور الأقدام، ومسمار سقط من المكان، وشرخ فى النعل تعب من الوقوف أمام هذا السجان .

آلات وآلات يخترعها الغرب لينقذ إسرائيل، تفتش عما تخبئه ملابسنا، وجوارب أرجلنا .

يا أهل أمريكا وأوربا الغربية، أنتم يا أصحاب هذه الجماعات الصهيونية

اخترعوا ما شئتم من الاختراعات، فالفلسطينى لا تخيفه الآلات والدبابات، طيروا فوق رءوسنا كل يوم قاتلين الأطفال فى المخيمات، طيروا محلقين بأعمال الشر، تسحقون المئات.

فنحن أصحاب حق صامدين أقوياء ..

وجاء دور الملابس، فذهبنا إلى طاولة يقف خلفها الجنود، وأعطيته رقم الحقيبة، مد يده إلى العتال ليجلبها، وإذا به يفرغ جميع ما فى الحقيبة من ملابس فى سلة من السلات القذرة، وأمر الجندى أحد العتالين أن يأخذ الحقيبة لتمر عبر آلة تصوير ليتأكدوا من أنها خالية من السلاح.

ويبدأ فى رمى الملابس هنا وهناك على الطاولة أمامه، وكأن الملابس قد حشيت بقنابل ذرية أو برصاصات مطاطية .

نظرت حولى لأجد امرأة تحمل طفلا أعياه طول الانتظار، فأخذ يبكى من شدة الجوع، وأمه تبكى ألما من حمله على صدرها طول النهار، تارة تخرج من حقيبتها بزازة ليكف عن الصراخ ، وتارة أخرى لعبة عله يتلهى بها، وأخذ الجندى يصرخ عليها بشدة : أسكتى الولد وإلا أبقيتك هنا لتكونى آخر من يخرج من المكان، وترد بصوت يملؤه الخوف . يا ابنى هذا طفل عمره ثمانية شهور، ألا يوجد عندك أطفال ؟ ، ويرد جندى الحدود بلهجة آمرة : اذهبى هناك اجلسى وانتظرى، أنا لايوجد لدى أطفال . ويستمر الطفل بالبكاء، وتذهب هى تدعى عليه ، «الله يقطع الساعة اللى شوفناكم فيها الله يفرجينا فيكم يوم، من فين ربنا رماكم علينا» .

أنظر حولى من جديد فأرى رجلا مسنا أعياه المرض وطول الانتظار، ويتوسل إلى الجندى أن يحن عليه ويرحم سنه . «أيوه أيوه شوف قد أيش فى ناس، أنا شويدى أعمل اذهبوا إلى البلاد العربية، أربح ليكم وأربح لنا» .

– «يا ابنى و زوجتى وأولادى اللى عايشين فى رام الله ، وأراضى الزيتون واللوز اللى بعيش من وراهم لمين أتركهم؟» .

– «سنرسل لك الولاد وزوجتك ، أما أرضك فسنزرعها بدل الزيتون واللوز يهودا من ألمانيا وبولندا ».

– «ليش يا ابنى فين أنا بدى أروح؟ ، هذى أرضى» .

– «طيب طيب أسكت خلينا نخلص».

أما أنا فخجلت من نفسى، هؤلاء أهل بلدى أمامى يذلون، وأنا أقف عاجزة .

جسر من الآلام نتحمله لنزرع فى الأوطان، جسر من المذلة نهزمه بإرادتنا القوية المستمرة.

قدس السلام

دخلت القدس وقلبى حزين ابكى حزنا على وضعنا المهين، أم أبكى فرحا للقاء قريب مع والد كان حبه فى القلب فوق كل أنين، ولهفة لأم لم تعرف غير العطاء طوال السنين، نصل رأس العامود فى طريقنا إلى البيت مارين برحاب الأقصى والصخرة، أحسست بالأمان أحسست بالسلام، فالقدس بيتى ولايحلو النوم ولا يرتاح القلب الا فى مهد الطفولة جنة الأوطان وسرها الباتع لايعلمه إلا من وطئت قدماه ارض المكان والقلب ملئ بسكون الخير والحب والإيمان، القدس حجرها يرتل أجمل الألحان وسماؤها تمطر حبا وآمالا يا قدس يا بهجة الزمان والمكان يا من رفعت عاليا فى رحاب الله تقتبسين ذرة من نوره (بسم الله الرحمن الرحيم «الله نور السماوات والأرض، مثل نوره كمشكاه فيها مصباح، المصباح فى زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية، يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسه نار، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم») .

فهل بعد هذا الكلام فى وصفك كلام؟ ، وهل هناك حب يفوق حبك يا أرض الأديان ؟ ، فى حبك ذوبان فى حب الخالق الذى اختار المكان ليكون سلاما، سلاما لكل نفس وفى كل زمان .

نزلت من السيارة لأطل على شجرة الياسمين والعنبر ليلمنى ويضمنى فى حضن بستاننا الأخضر، سيرين أختى تركض بلهفة نحوى صارخة ماما، ماما، بابا، بابا عادت سهاد إلى القدس، ياعلى وعمر وصلت سهاد تعالوا، والله العظيم انها هنا .

اخذتنى أختى بالأحضان وجاء أبى مهرولا تلحقه أمى وانحنيت أقبل يده، هذا الأب العظيم، واقبل يد أمى التى ضمتنى إلى صدرها، والقلب يبكى فرحا، القدس دينى، القدس وطنى، القدس عائلتى سلفى وحاضرى ومستقبلى

فى رحاب القدس

فى اليوم الثانى من عودتى إلى القدس اخذنى الحنين إلى الأقصى لأركع ركعتين أشكر الله على عودتى إلى قدسنا الشريف واشكره ألف وألف ومئة ألف مره اننى ولدت فى هذا البلد الأمين . وكان أخى على يصطحبنى فذهبنا بعدها إلى كنيسة القيامة وكان جدى ابا الأمين ينتظر حضورنا بفارغ الصبر وكله شوق للقائى ، وأنا أكثر لهفه للقاء مع جدى هذا الرجل الطيب، عائلتى هنا، بيتى هنا، ومفاتيح كنيسة القيامة أمانة حملناها طوال السنين، أخذنى بعد أن طلب منى أن أضع على رأسى الشال كما أضعه وأنا أدخل الأقصى والصخرة احتراما للمكان ولعيسى ابن مريم عليهما السلام، جدى فرح بلقائى يقدمنى إلى جميع من وجد من البطاركة ورجال الدين فخورا بى يقول : هذه حفيدتى وصلت أمس من بيروت، إنها تدرس فى كلية بيروت الأمريكية للبنات، ستصبح فى يوم من الأيام ذات أهمية.

أخذنا أنا وجدى وأخى على نضئ الشموع على قبر المسيح، ونقرأ القرآن وندعوا أن يعم العالم السلام والأمان، وصعدنا الدرج لنصل إلى مزار سيدتنا مريم العذراء حيث قرأنا الفاتحة عن روحها الطاهره وأضأنا الشموع لمقامها .

رهبة المكان فى القدس القديمة وفى شوارعها العتيقة لايعرفها إلا من عرف قلبه التوحد الروحى مع الواحد الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام، ونمر بأبو عصب بائع عصير الجزر أشرب العصير أطمئن على المكان وأنه فى عينى لم تتغير الحال ومازالت معالم قدسى الحبيبة تحافظ على ناسها واهلها من غدر الجهلة وليس الزمان ، فالزمان هو الزمان ، لايخون ولايخان إلا على ايدى جهلة أشرار لايحملون إلا الغباء والحقد لأنفسهم اولا ولمن حولهم، يقتلون السكينة مشوهين المكان غير عابئين بجمال الخالق الذى أغدق فى العطاء فرفع السماء وخلق الأرض والأرزاق ، فراح بعض الناس يعبثون بخيراتها ويطغون على أهلها .

مشيت وأخى على نتفحص معا قدسنا الحبيب وأهلنا من قريب وبعيد . يربطنى بالقدس وأهلها حب غريب حب أمانة على المكان وحب لأهلها الذين يدافعون عن وجودهم رغم ظلم الاحتلال، وبعد أن شربنا العصير ، مررنا بحلويات جعفر وجلسنا بين الأهل فى المكان، بين أهلنا والخلان نأكل كنافة جعفر التى اشتهرت قبل أن نولد بزمان وزمان، أخذت أنظر فى العيون وأتأمل الوجوه، هى وجوه أهل بلدى منها من جاء من شمال فلسطين من القرى والمدن التى يقربها الأقصى والقيامة فتصبح القدس فلسطين، فالتقى فى شوارعها وكنائسها ومساجدها بأهلى من جميع فلسطين، كم أحبك يا قدس ، فيك اللقاء مع أهلى الأحباء ، فيك اللقاء مع رب العباد .

الله السلام

فى خضم هذا المشوار القصير، قبض على أنفسنا منظر الجيوش الإسرائيلية التى رشقت المكان بزيها المقيت ومدرعاتها الثقيلة، لم كل هذه المدرعات أيخشون أن تغضب عليهم السماء؟، أم أن المجرم يخاف من جريمته فيحتمى دائما وراء السلاح لأنه يعرف أنه قتل فى الأرض واستباح ؟

لم تعرف أرض القدس قبل عام ١٩٦٧ أقدام الجيوش بل عرفت أقدام ملائكة الرحمة من رهبان وراهبات وقديسين وقديسات ومشايخ وأهل خير وبركة مشوا على أرضها يسبحون لخالقها، يصلون للعالم أجمع ، أن يملأ الخير والحب قلوبهم ويغفر الله للناس ذنوبهم وأن يدلهم على طريق الخير ويجنبهم كل الشر .

الحجاج فى كل ركن وكل زاوية من زوايا القدس يمرون بسلام، فى القدس قبل عام ١٩٦٧ اختلطت جميع الألوان وجاء الورعون المتعبدون من مشارق الأرض ومغاربها لايحملون فى قلوبهم إلا الإيمان ، لم يكن يهم من يزور قدس الاقداس، هنا لانسأل عن الهوية الدينية ولا عن الهوية العرقية، هنا مكان لكل مكان، وهنا بيت لكل طالب خير وبركة وحب وإيمان .

وصلت إلى البيت أنا وأخى هل يا ترى كنا نفكر بصمت فى نفس الأفكار ؟؟ وهل كان كل منا يخفى عن الآخر كيف شوهت أرض السلام ؟ .

فى البيت وجدنا فى انتظارنا STEVE BERNS وهو من فلادلفيا يهودى جاء ليدرس المحاماة فى الجامعة العبرية، و LINDA TUCHMAN من ولايـــة WISCONSIN جاءت لتتعرف على أرض الميعاد، أرض أخبرها الصهاينة أنها أرض دون شعب، جرداء .

فى بيتنا لايوجد مكان للكراهية من يدخله يدخل معبدا شيده ابى بالخير والمحبة، ونظمته أمى بنظام فيه الديمقراطية هى الحرية .

اخـــذتنى LINDA بالأحضـان بقلب يملؤه الحب والسلام، فرحت كثيراً لرؤياهم جاءوا من أقصى الشمال معتقدين أن الديار فارغة وأن الأرض صحراء قاحلة، فوجدونا نستقبلهم فى بيوتنا ، لانكن لليهود الا الخير والحب والوئام عاد STEVE و LINDA إلى أمريكا وطنهم الغالى، رفضوا أن يسكنوا على أرض غيرهم، رفضوا أن يقتلعوا شعبا من ديارهم رفض ضميرهم وقلبهم الكبير أن يكونوا من المدمرين .

فإن أصحاب القلوب الطيبة وأصحاب الضمير الحى تأبى نفوسهم إلا أن يكونوا مع الله فى الحق متحالفين .

تحيه إلى كل إنسان يرفع علم الحق والحب والخير فالحق عدل والحب إخاء ومساواة والخير سلام نحمله للعالم ولأنفسنا جميعا، فسلام من أهل السلام فى جميع المعمورة إلى أرض السلام فى قدسنا المنصورة، سلام من قدس القداسة بلد الأنبياء إلى بلاد العالم لنبدأ معا مشوارا جديدا نستقبل فيه عام ألفين عيد المسيح عليه السلام، وكلنا أمل أن يملأ حبه النفوس وأن يعيد ميلاده إلى العالم السلام والاطمئنان .

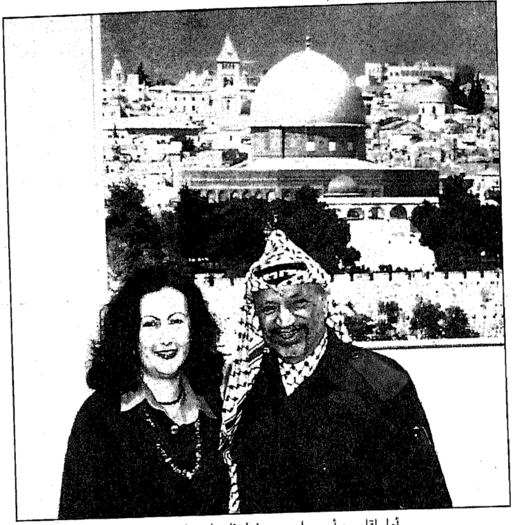
عام الفين فليكن عام التآخى بين اليهود والنصارى والمسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة، ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين»

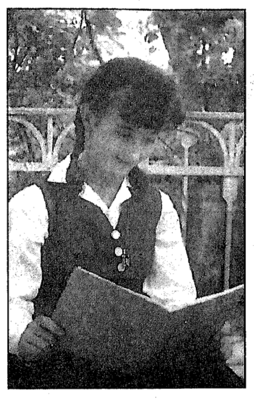
صدق الله العظيم

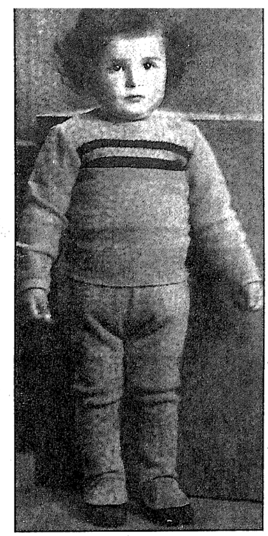
حديث الصور والذكريات



أول لقاء مع أبو عمار بعد دخول فلسطين عام ١٩٩٦

سهاد قليبو فى ساحة مدرسة شميدت بالقدس
عام ١٩٦٧





سهاد قليبو قدس السلام تملأ حبها منذ الطفولة



وجيهة نسيبة قليبو الام
العربية الفلسطينية
مقدسية تعرف كيف
تصمد امام المحن
ببسالة



حسين على قليبو وحديث الذكريات عن الزمن الجميل مع الزوجة وجيهة نسيبة



فى مصر المتحف الزراعى



شرين وعمر ينعمان بنسيم يحمل اريج الليمون



العائلة المقدسية .. الامان ودفء العلاقات الحميمة بين الأهل والجيران تحت شجر الخوخ والرمان .



حديث القدس لا ينقطع بين الأهل والخلان



اليرموك عبقرية المكان وورومانسية الزمان



الأم الحنون وجيهة
والخالة رحاب وسهاد
قليبو طفلة



الخالة عايدة التى توفيت فى الشتات مع الخالة عفاف



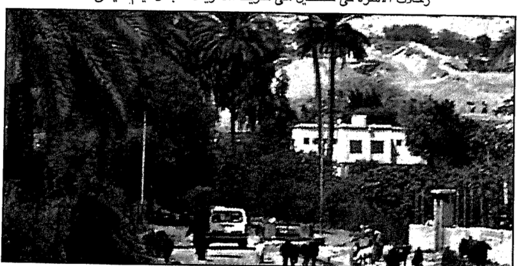
الخالة مليحة والشعر الاصفر فى نابلس



مديرة المدرسة المأمونية
السيدة والمربية الفاضلة
عالية نسيبة



رحلات الاسرة فى فلسطين هى شريط الذكريات لاجمل أيام حياتى



فى هذا البستان قضينا أجمل الأيام مع الأهل

في بستان عمي حسن قليبو قناة مياه تندفع من نبع السلطان



خرجت النساء من بيوتهن رافضات الاحتلال والعروض العسكرية الاسرائيلية



عبدالرزاق قليبو من أوائل من درسوا القانون في استامبول وكان حاكم جنوب فلسطين زمن الانتداب وهو احد المؤسسين لبنك فلسطين



انور نسيبة محافظ القدس وفى الصورة الملك حسين رحمة الله عليه



وجيهة ووجدان وكثيرات من أفراد العائلة حوله السيدة البولندية التى تحمل الينا آخر الصيحات من دور الأزياء الأوربية



ابن العم عارف قليبو وسط البستان



اندفعت النساء يرفعن شعارات رفض تهويد القدس العربية



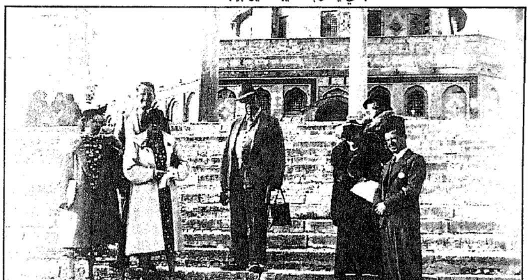
د. أنور نسيبة أعتلى مناصب عالية في الأردن مع الملك حسين في الأردن



المنزل في أريحا يجمع الأهل والاصدقاء



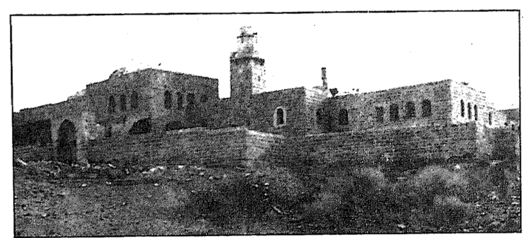
جدي يعقوب نسيبة تميز بإجادة عدة لغات



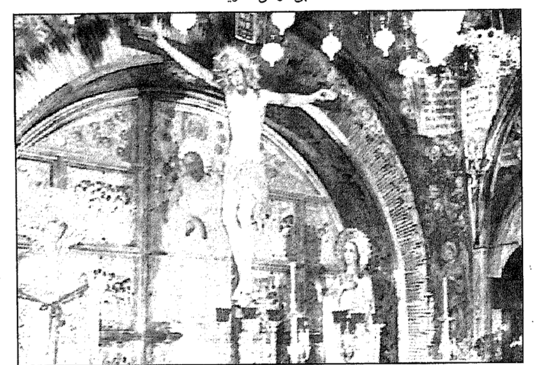
القدس مزار للجميع



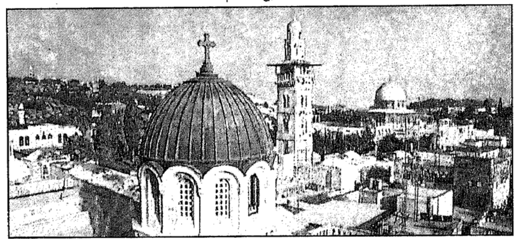
اصبح الزواج فى المهجر واصبحنا نشتهى الزيت والزعتر



النبى موسى - أريحا



مسيح السلام



كنيسة القيامة وخلفها الحرم الشريف



السيدة زينب معتوق المربية الفاضلة فى مدرسة الاصدقاء

اذا طالب اهلي بالمهر فانني اعتبر ذلك اهانة لي ...
لانني لست سلعة تباع وتشترى .. !!!

لا يهمني ماضي الفتاة .... متى اقتنعت بها



- ٢٨ -

في ذكراه الاولى
عبد الناصر الانسان

في منزله بمنشية البكري وفي غرفة نومه بالطابق الثاني .. ووسط الدموع المنهمرة من عيون أصدقائه واطبائه . دخلت السيدة الجليلة الى الغرفة المشحونة بالجلال والحزن . ولا يمكن لاحد ان يصف احزانها المتوهجة كالجمر المشتعل وامسكت يد ذلك الرجل المسجى على سريره وهي تناديه ... وسمعت احد الباكين يقول الرئيس .. الرئيس ... والتفتت تقول لا تقولوا الرئيس قولوا انه جمال عبد الناصر وكفى سيبقى بالنسبة لي وللناس كلهم جمال عبد الناصر .

الوان
مجلة فنية اجتماعية ثقافية
صاحبها ورئيس تحريرها المسؤول
يوسف نفاع
التحرير والادارة
القدس - شارع صلاح الدين
عمارة الاوقاف الجديدة
تلفون ٨٢٨٣٧ - ص ب ١٩٢٦١
الاعلانات والاشتراكات
يتفق بشأنها مع الادارة
الثمن :
١٠٠ اغوره في اسرائيل
٨٠ فلسا في الضفة والقطاع
السنة الاولى
العدد التاسع
١٥ - ١٠ - ١٩٧١
ALWAN
The Arts & Social
Weekly
JERUSLEM
Salah Eddin Street
Al Awkaff New Bld
Tel. 82837
P.O.Box 19261
15 - 10 - 1971
طبعت
مطابع الجهاد التجارية
القدس - الشيخ جراح
تلفون ٨٢١١٦

مجلة الوان بداية رحلتى
مع العمل الصحفى



مقابلة صحفية مع المطرب محمد جمال في جريدة البيرق



موكب الاحتفال بزفة علم النبى موسى عليه السلام



د. امين الخطيب عميد العمل الاجتماعى التطوعى



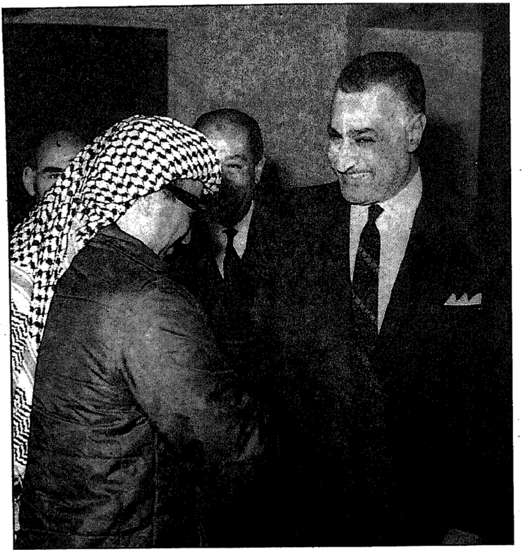
تربطنا أواصر المحبة مع العائلات اليهودية الفلسطينية والمسيحية ، وفى الصورة سهاد وأخوها مع اليهوديين اللذين رفضا البقاء على أرض لها اصحاب



ابن الشهيد عبد القادر الحسينى وفى الصورة الكاتبة سهاد قليبو مع فيصل الحسينى فى حفل افتتاح جمعية الشابات المسلمات



مدخل كلية هند الحسينى للآداب



الزعيم جمال عبدالناصر وابو عمار فى لقاء تاريخى صوته يجمعنا وحبه لنا يقربنا



ابو عمار ومحمد سالم القدوة وسهاد قليبو

الله سـلام

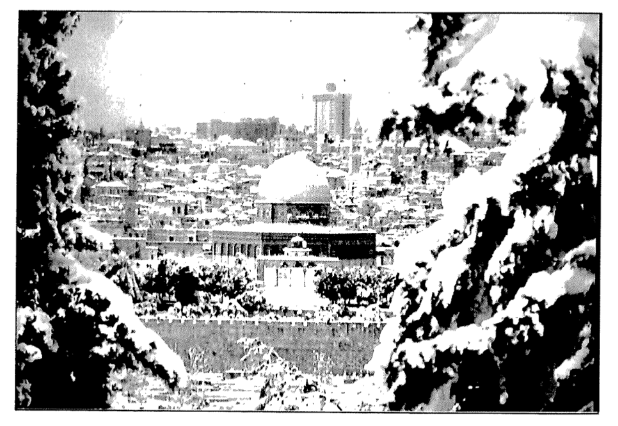


الفهرس



كنسية القيامة

القدس فى أعياد الميلاد





للقدس رائحة المسك والعنبر، تخرج من كل كنيسة ومسجد ومنبر...

للقدس مع كل غروب، سجود ما بين السماء والأرض تتطهر...
للقدس شروق فيه الملائكة تحوط المكان وأهل الخير ينشدون الله أكبر...

القدس حجرها يرتل أجمل الألحان وسماؤها تمطر حبا وآمالا...

ياقدس .. يابهجة الزمان والمكان..

هل هناك حب يفوق حبك يا أرض الأديان...

فى حبك ذوبان فى حب الخالق، الذى اختار المكان سلاما لكل إنسان...

قدس القداسة...

ماذا أقول لأبنائى...

دار الهلال

الثمن ١٥ جنيها